سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء الثالث



سعدي يوسف

الأعمال الشعرية

الجزء الثالث

جنّة المنسيّات

منشورات الجمل

ولد **سعدي يوسف** في البصرة عام ١٩٣٤. تخرّج من دار المعلمين ببغداد سنة ١٩٥٤. عمل في الصحافة وتنقل بين عدة بلدان ويقيم اليوم بلندن. نشر العديد من الترجمات الشعرية والنثرية، وكتب القصة والرواية، ترجمت أشعاره إلى العديد من اللغات ونال جوائز أدبية في البلدان العربية والأوروبية. من أعماله وترجماته: **القرصان**، شعر (١٩٥٣)؛ **أغنيات ليست للآخرين**، شعر (١٩٥٥)؛ **قصائد مرئية**، شعر (١٩٦٥)؛ **بعيداً عن السماء الأولى**، شعر (١٩٧٠)؛ **نهايات الشمال الأفريقي**، شعر (١٩٧٢)؛ **الأخضر بن يوسف ومشاغله**، شعر (١٩٧٢)، **والت وايتمان: أوراق العشب**، ترجمة (١٩٧٦)؛ **تحت جدارية فائق حسن**، شعر (١٩٧٤)؛ **قصائد أقل صمتاً**، شعر (١٩٧٩)؛ **خذ وردة الثلج، خذ القيروانية**، شعر (١٩٨٧)؛ **قصائد باريس، قصائد إيثاكا**، شعر (١٩٩٢)؛ **كافافي: وداعاً للاسكندرية التي تفقدها**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **يانيس ريتسوس: إيماءات**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **لوركا: الأغاني وما بعدها**، ترجمة (١٩٨١)؛ **فاسكو بوبا: شجرة ليمون في القلب**، ترجمة (١٩٨١)؛ **غونار أكيلف: ديوان الأمير وحكاية فاطمة**، ترجمة (١٩٨١)؛ **أونغاريتي: سماء صافية**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هولان: قصائد**، ترجمة (١٩٨١)؛ **هنري ميللر: رامبو وزمن القتلة**، ترجمة (١٩٧٩)؛ **نغوجي واثيونغو: تويجات الدم**، ترجمة (١٩٨٢)؛ **ديفيد معلوف: حياة متخيلة**، ترجمة (١٩٩٨)؛ **وولي سوينكا: المفسّرون**، ترجمة (١٩٨٦).

سعدي يوسف: **الأعمال الشعرية، الجزء الثالث: جنّة المنسيّات**

الطبعة الأولى

خطوط الغلاف: الفنان علي عاصي

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٣٥٣٣٠٤

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

عندما في الأعالي

مسرحية شعرية

(١٩٨٩)



شرح كلمات

ابسو: إِله الماء العذب.

ارشكيجال: إِلهة العالم السفليّ. أخت عشتار.

انكمْدو: الفلاح. أراد أن يتزوج عشتار.

انكيدو: صديق جلجامش. كان في البرية فاستأنسته امرأة.

آنو: إِله السماء. والد عشتار.

الأنوناكي: مجمع الآلهة.

اوتو ـ نبشتم: البعيد. جد جلجامش. أنقذ البشر في الطوفان، فمنحته الآلهة الخلود.

إِيا: إِله الفطنة والمياه الباطنية. قَتل أباه ابسو، واغتصب المُلك.

اينوما ايليش: الاسم البابلي لقصة الخليقة (عندما في الأعالي).

جلجامش: (معروف؟)

خمبابا: وحش الغابة. قتله جلجامش وانكيدو في غابة الأرز.

تيامات: إِلهة الماء الملح. زوجة ابسو.

دومكينا: زوجة إِيا، التي ولدت مردوخ.

سيدوري: فتاة الحانة البحرية.

كينغو: قائد جيش تيامات. ذُبح بعد هزيمته مع جيش تيامات، وخُلق البشر من دمه.

مردوخ: ابن إِيا ودومكينا. صار فيما بعد، ربَّ الأرباب. بنى بابل.

قَتل جدته تيامات.

ممّو (أو نمو): ثَبَجُ المياه الأولى، أو الضباب الناجم منها.

ننسون: إِلهة. أم جلجامش.

عشتار: (معروفة؟).

الراعي: إِشارة إِلى تموز.

القسم الأوّل

قصة الخليقة

(فضاء. معالم مشوّشة. موسيقى إِلكترونية. ضباب. آلهة هائمة)

الجوقة: عندما في الأعالي
لم تكن زرقةٌ أو سماءْ
عندما في الدواني
لم تكن لمسةُ الأرضِ
كان العماءْ
العماءُ
العماءْ
لم يكن غيرُ ماءْ،
غيرُ تهويلةٍ من ضبابٍ وماءْ
لم تكن غيرُ تلكَ الإلهةِ
تلك التي هي ماءٌ ضبابٌ
وماءٌ ضبابٌ
وماءٌ وماءٌ وماءْ

أحد الأنوناكي: ولكننا قد وُلِدنا.

ثانٍ: كيف تُستولَدُ الآلهةْ.
من عماءْ؟

ثالث: كيف يغدو الفضاءْ
صفةً؟

رابع: كيف جئنا لنسكنَ هذي السماءْ؟

الأول: ولكننا قد وُلدنا

لنسكنَ هذي السماءْ. . .

ألم يكن الكونُ ماءً؟

ألم تكن الأرضُ ماءً؟

فكيف، إِذن، لا تكونُ السماءْ؟

وكيف، إِذن، لا يكونُ العلاءْ

مساكنَنا؟

نحن لم نأتِ من غيمةٍ

نحن أصلٌ، وفصلٌ، ونحن النّماءْ

نحن آلهةُ الكونِ

أولُ مَن فيه والانتهاءْ.

الجوقة: هذه الآلهةْ

كلُّها

وسواءٌ لها

منزلُ الأرضِ

أو مَعْرَجٌ في السماءْ

هذه الآلهةْ

كلُّها

لا تُطاقْ. . .

انظروا: إِنهم يسكرونْ

دون أن يخجلوا من أحدْ

دون أن يخجلوا
منكمو، أيها البشرُ العابرونْ.
إِنّهم يسكرون
ليقولوا لكم: إِننا الآلهةْ
إِننا الخالدون!
ثم ماذا؟
دعوهم يقولوا الذي يشتهونْ.
نحن نعرفهم واحداً واحداً
نحن نعرف أسماءَهم واحداً واحداً
نحن نعرف أنهمو في الخرافة يستغرقون
دعوهم، فأنتم هنا، وحدكم تعرفونْ
أيَّ شيءٍ يُخَلَّدْ
أيَّ شخصٍ يُمَجَّدْ
أيَّ شخصٍ يهونْ...
أحد الأنوناكي: جوقةٌ للكلام البذيءْ
جوقةٌ للمهانهْ.
صوت: (هذه الآلهةْ
كلُّها
وسواءٌ لها
منزلُ الأرضِ
أو مَعْرَجٌ في السماءْ
هذه الآلهةْ

كلُّها

لا تطاقْ)

أحد الأنوناكي (يستمر): من أتانا بها؟

ثانٍ: لتكنْ نابِها. . .

ثالث: أوَلم تسمع الرعدَ؟

رابع: أبصرتُ برقاً تخاطَفَ من جهةِ البحرِ. . .

الأول: مَن جاء؟

ثانٍ: ابسو. . .

ثالث: سكرْنا

لقد قالت الجوقةُ الحقَّ.

رابع: أما جاء ممّو؟

الأول: سكرْنا

لقد قالت الجوقةُ الحقَّ. . .

ثانٍ: ابسو

رابع: وممّو. . .

الأول: قبل أن يوجد بيتٌ قُدُسٌ للآلههْ

في مكانٍ قُدُسٍ

قبل أن يُخلَقَ في الماء القصبْ

قبل أن تخضرَّ أغصانُ الشجر

قبل أن يُبتكَر الآجُرُّ والقالبُ. . .

قبل المدنِ العظمى

وقاماتِ البشرْ

لم يكن ثَمَّ سوى البحرِ
ونحن الآلهةْ
قد ظهرنا، بغتةً
وسكنَّا بيتَنا القُدْسَ
وما كانَ على الأرض البشرْ
فلماذا تطلبُ الجوقةُ أن نسجدَ شكراً للبشرْ؟

الجوقة: عندما شُكِّلتِ الأرضُ وقامت
عندما حُدِّدَ للأرضِ مصيرٌ والسماء
عندما امتدّت مع الشطآن دجلةْ
والفراتْ
ذُبحتْ آلهةٌ كي يُخلق الإنسانُ
من فيض الدم الغالي الإلهيّ، ومن أعراقه المستنفَرات
وليكنْ!
لم يُخلق الإنسانُ من طِينٍ فُتات.

أحد الأنوناكي: قد خلقناه لكي يخدمَنا،
كي يحمل السلّةَ والمعولَ
يحيا في الخنادق
أو يموتْ
قد خلقناه لكي يبني للآلهة العظمى
بيوتاً وبيوتْ
قد خلقناه لكي يحفظَ أحجارَ الحدودْ
أو يموتْ

قد خلقناه ليسقي الأرضَ،
يستنبتها خيراً وغَلَّهْ
ويغنّينا
يغنّيها
ويستخرجُ ماءً سلسلاً منها. . .
خلقناه لكي نحيا
ولم نخلقه كي يحيا. . .
الجوقة: عجباً!
أيُّ إِلهٍ ظالمٍ هذا؟. . .
كأن الكونَ ما مرّتْ به آلهةٌ أخرى. . .
ثانٍ: لمن أنتم تشيرون؟
ثالث: ألا تعرف من تعني هنا الجوقةُ؟
رابع: إِني العارفُ الهارفُ.
الأول: لا بأسَ. سنبدأْ
بالبدايةْ:
صوت: (هذه الآلهةْ
كلُّها
وسواءٌ لها
منزلُ الأرضِ
أو مَعْرَجٌ في السماءْ
كلُّها
لا تُطاقْ).

ابسو، الماءُ العذبُ
سَلَفُ الآلهةِ العظمى
وتياماتُ، الماءُ الملحُ
أمُّ الآلهة العظمى. . .
يا لسكونِ الهيبةِ، يا لَلصمت الكاملْ
يا لنهار أهدأَ من ليلٍ
يا بيتاً أقْدَسَ
يا قدسَ الأقداسْ.

الجوقة: ما معنى الآلهة العظمى
إِن وثبتْ آلهةٌ صغرى
وَثْبَتها؟
ما معنى الآلهةِ العظمى
إِن قتلَتْها آلهةٌ صغرى؟
ما معنى الماءِ العذبْ
إِن جعلوه المُرّا؟

الأول: قلتُ لكم، هذي الجوقةُ ملعونهْ
ستظل تعاندني
ستظل تناكدني.

الثاني: انْسَ الجوقةَ، وابدأْ

الرابع: هيا!
انسَ الجوقةَ، أو لا تنسَ الجوقةَ
هيا! وابدأْ. . .

الأول: السمكُ الكبيرُ يأكل الصغيرْ
لكنما يَحْدثُ أن السمكَ الصغيرَ يأكلُ الكبيرْ
وأن للفيلِ جناحينِ
وأن الطيرَ لا يطيرْ.
الجوقة: هل تسمعونهُ؟
أما قلتُ لكم: تَعْتعَهُ السكرُ
وسالتِ الخمرُ
على ثيابهِ. . .
الأول: أخطأَتِ الجوقةُ هذي المرّةَ. . .
الكلامُ لي.
الثاني: انسَ الجوقةَ، وابدأْ
الأول: تمرّدتْ آلهةٌ صغرى
وصفَّتِ الآلهةَ الكبرى.
السمكُ الصغيرُ التهمَ الكبير.
الثالث: وكيف للفيلِ جناحانِ؟
الرابع: وكيف الطيرُ لا يطيرْ؟
الأول: صبراً، لنبدأْ أولاً بحكمة الأسماكِ،
كيف السمكُ الصغيرُ التهمَ الكبيرْ. . .
ابسو: الماءُ العذب
سَلَفُ الآلهةِ العظمى.
وتيامات: الماء الملحُ
أمُّ الآلهة العظمى. . .

كان الإثنان بلا أبناءٍ يضطربون ولا أحفادْ
لكنْ جاءَ الأبناءُ وجاءَ الأحفادْ
وضجَّ البيتُ القُدْسُ بصيحاتِ الأولادْ
وحَطَّ الأحفادُ على لحية ابسو
وتعالى الضحكُ السمْجُ وقعقعةُ الإنشادْ
وتعالى غضبُ الشيخِ، ولكنْ. . . مَن يُوقفُ أغنيةَ الأولادْ؟
مَن يُوقف هذا الصخبَ الفظَّ، وهذا اللعِبَ القاسيَ بالأزمانِ
ويُرجعُ أفراحَ القلب؟
وإِبسو يهدرُ: سوف أدمِّرهُمْ.
وتياماتُ تقول:
هل نقتلُ مَن أحيَينا؟
هل نقتلُ من نحنُ وهبناهم حقَّ حياةٍ منّا؟
والشيخُ يقولُ.
الصبحُ معاشي
والليلُ لباسي
لكنهمو قتلوا صبحي والليلْ. . .
سأدمِّرهُمْ:
والويلُ لهمْ:
الويلْ.
صوت: هذه الآلههْ
كلُّها
وسواءٌ لها

منزلُ الأرضِ
أو مَعْرَجٌ في السماءْ
هذه الآلهةْ
كلُّها
لا تطاقْ.

الأول: قلتُ لكم، هذي الجوقةُ معلونهْ
ستظلّ تعاندني
ستظلّ تناكدني!

الثاني: هيا!
انسَ الجوقةَ، وامضِ
هيا!

الأول: نحن قتلْنا ابسو
نحن الأنوناكي.
السمكُ الكبيرُ يأكلُ الصغير.
وهكذا حينَ سمعنا أنه قاتِلُنا غداً
قلنا: علينا قتلُهُ اليومَ...
وصارَ السمكُ الصغيرُ يأكل الكبير.

الجوقة: هذا الأنوناكي
الدائخُ بالسَّكرهْ
ثيابهُ ماءٌ
ورأسُه جَرّهْ
لو قَتَلَ الإبسو

لكان في العلياء
وما أتى الليلهْ
في هذه الضوضاء
لكنه الرأسُ
ينضح كالسلّهْ!
الأول: قلتُ لكم، هذي الجوقةُ معلونهْ.
ستظلُّ تُعاندني
ستظلُّ تناكدني!
الثاني: هيّا!
انسَ الجوقةَ، وامضِ
هيّا!
الأول: حقاً، لم أقتل ابسو بيديّ
لكنّ الأنوناكي قتلوه
وأنا منهم...
الجوقة: ما زال الرأس
ينضح كالسلّهْ!
الأول: اللعنةُ!
مَن جاء بهذي الجوقهْ؟
الجوقة: هذا الأنوناكي السكران
هيمانُ بدون لسان
ولهذا سنقول لكم،
نحن، اللحظةَ والآن

ما يمكنُ أن يعرفَه الإنسان
عن مقتلِ إِبسو.
(فاصل)

كان الشيخُ المسكين
في منزلِه المائيِّ
وجاء «إِيا»
رتّلَ ترتيلتَهُ الأعجوبهْ
رتَّلَها
وأحاطَ بها
وجهَ الماء. . .
فنامَ رفاقُ الشيخ المسكين
نام الشيخُ المسكين
نام طويلاً،
و«إِيا» حلَّ نطاقَ الشيخِ المسكين
ونضا عن مَفْرِقِهِ التاجَ
وتوَّجَ نفسَهْ
ربّاً أعلى،
شيَّدَ منزلَهُ
فوق رفاتِ الشيخِ المسكين
النائم حتى الآن. . .
الأول: قلتُ لكم، هذي الجوقةُ ملعونهْ

ستظلّ تعاندني
ستظلّ تناكدني!
الجوقة: هذا الأنوناكي السكرانْ
ما زال بدون لسانْ
ولهذا سنقول لكم،
نحن، اللحظةَ والآنْ
ما يمكن أن يعرفه الإنسانْ
عن قتل تيامات
الأمِّ الأولى
زوجةِ إِبسو.
(فاصل)

عاش «إِيا» في منزله المائيّ طويلاً
ومَقاماً قُدُساً شادَ
له، ولزوجته دومكينا
وثمّتَ في غرفة تقدير الأقدار
كان له ولدٌ:
مردوخ.
كان جميلاً
وطويلاً
تخلب قامتُه الألباب
وكانت عيناهُ البرقَ

تشعّانِ عيوناً أربعَ
كانت أذناه تجسّانِ السمعَ
كآذانٍ أربعَ
كانت نيرانُ الفطنة في شفتيه
كان الأعلى بين الآلهةِ الأعْلَين
ـ ابنَ الإله الشمسِ
ابنَ شمسِ الآلهةِ ـ
كان بهيّاً،
يسطعُ أبهى من عشرة آلهةٍ
كان الجبّار.

(فاصل ريح وموج)

تيامات (تتأمل): هذي الرياحُ الأربعُ الشرساتُ
أدفعُها، فلا ترتدُّ
إِنّ هديرَها يمتدُّ
في صدري ويحتدُّ
وهذا الموج يعصف بي
كأنّ غدائري طارت شَعاعاً
كيف أهدأُ
كيف أهدأُ
كيف أهدأْ؟
(يدخل أحد الآلهة الكبار): يا أمَّنا، لن تنفعَ الحسراتُ،

كوني، مثلما عَوَّدتِنا:
جذعَ الشجاعةِ
ماءَها
كوني لنا الدرعَ السبيغَ
لعلّنا
قاضونَ ثأرَ أبٍ لنا
قتلتْهُ آلهةٌ صغارُ.
يا أمَّنا صبراً
فهذا الصوتُ يعقبهُ قرارُ.

تيامات: لو كان للحَدَثانِ أن يحكي لكنتُ أنا الحكايهْ
لو كان للأشجار أن تبكي لكنت أنا الدموع
لو كان للأمواج صدرٌ كنتُ مضطَربَ الضلوع
لكنني لم أضطربْ حتى وإِن قتلوا رفيقَ صبايَ ـ ابسو
اليومَ أشعرُ أنّ عِرقَ حقيقتي العظمى يُمَسُّ
ولأجله سأقول للشبحِ
للريحِ، للأعداءِ، للحَرجِ
سأقولها للغادرينَ: كفى!

(فاصل موج وريح)

كينغو (يدخل): تياماتُ، جئتُكِ بالجيشِ. . .
تيامات: فليدخلوا!
كينغو: ادخلوا!

الأفعى الهائلة (تدخل): سلاماً تياماتُ
إِن دمي ـ السُّمَّ في إِمْرَتِكْ
التنّين (يدخل): سلاماً تياماتُ
إِن لساني الذي يتلهَّبُ في إِمرتِكْ
الأسد الجبار (يدخل): سلاماً تياماتُ
إِن مخالبيَ السودَ في إِمرتِكْ
الكلب المسعور (يدخل): سلاماً تياماتُ
إِن دمي المتسعِّرَ في إِمرتِكْ
الرجل العقرب (يدخل): سلاماً تياماتُ
إِن الرجالَ العقاربَ في إِمرتكْ
الذبابة العملاقة (تدخل): سلاماً تياماتُ
نحن الذبابَ العماليقَ في إِمرتكْ
الجاموس الفحل (يدخل): سلاماً تياماتُ
إِن الفحولةَ في إِمرتِكْ
تيامات: تقدَّمْ إِلى الضوءِ، كينغو
تقدّمْ!
(يتقدّم كينغو)
جعلتُكَ أنتَ العليَّ العظيما
فَقُدْ أنتَ جيشي،
وكُن صاحبَ الأمرِ في مجلسِ الآلههْ
الجوقة: واستعدَّتْ تياماتُ للحربِ
كانت تهدِّدُ أبناءَها، مثل صاعقةٍ تائههْ

آه، أيتها الأمُّ

ما أظلمَ الحربَ، حربَكِ!

ما أظلمَ الخَلَفَ الآلههْ!

صوت: (هذه الآلهه

كلُّها

وسواءٌ لها

منزلُ الأرضِ

أو مَعْرَجٌ في السماءْ

هذه الآلههْ

كلُّها

لا تطاقْ)

(فاصل)

ـ غرفة تقدير الأقدار في منزل «إِيا». الأنوناكي مجتمعون ـ

أحد الأنوناكي (مخاطباً إِيا): أيّهذا البطل الرائعُ، يا مقدامُ، يا وثّابُ

يا قادرُ، يا غلاّبُ

يا مُحْكَمُ

يا أحكَمُ

يا قاتلَ إِبسو،

هذه الأمُّ تيامات أعدَّتْ جيشها

فامضِ إِليها

قُلْ لها: فلتهدأي روحاً
وقُلْ: فلتسكني قلباً
وقُلْ: لا تدخلي حربا.

إِيا: سوف أمضي برهةً (يخرج)

أحد الأنوناكي: نحن لا نملكُ إلا الانتظارْ

آخر: أنت تعني، نحن لا نملكُ رأياً أو قرارْ

الأول: أترى أنتَ الفرار؟

(فاصل)

(تيامات مع جيشها العجيب، وإِلى جانبها كينغو قائد الجيش)

إِيا (يدخل مرتبكاً): سلاماً تيامات...

تيامات: لا مِن سلام يُرَدُّ على القاتلِ

إِيا: ولكنني جئتُ أرجوكِ...

تيامات: ماذا؟

إِيا: أطالبُ بالعدلِ من عادلِ

تيامات: وزوجي القتيل؟

إِيا: مضى في النعاسِ الطويل

تيامات: وأنت ترتِّلُ ترنيمةَ القاتلِ...

إِيا: أريدُ السلامَ، تياماتُ،

تيامات: لا من سلامٍ مع القاتلِ. (تلتفت نحو كينغو)
ويا قائد الجيشِ

قدِّمْ له الرجلَ العقربا (يتقدّم الرجل العقرب)
إِيا (متراجعاً): تياماتُ، جئتُ أريد السلام (الرجل العقرب يتقدّم)
تيامات (مشيرة إِلى الرجل العقرب): تحدثْ مَعَهْ
(ومشيرة إِلى الآخرين) أو إِلى هؤلاء. . . .
(المخلوقات المهولة تتقدّم)
إِيا: تيامات!
تيامات: هل خفتَ؟ كيف وأنت البطلْ!
ويا قاتلاً مَن قَتَلْ. .
يا ساكنَ الغرفةِ العاليهْ. . .
(المخلوقات المهولة تتقدّم)
إِيا: تيامات!
تيامات: يا قائدَ الجيشِ، كينغو
دعِ الكلبَ يطردْهُ. . .
إِيا (وهو يخرج): يا ويلَنا! أيُّ جيشٍ رهيب!

(فاصل)

ـ غرفة تقدير الأقدار في منزل «إِيا». الأنوناكي مجتمعون ـ

إِيا (يدخل): مضيتُ إِليها، وكلّمتُها. . .
أحد الأنوناكي: وهل جنحتْ للسلامْ؟
إِيا: كأنيَ من رهبتي قد نسيتُ الكلامْ

ثانٍ: أتعني أخافتْكَ؟

إِيا: إِن مخاليقَها أرعبَتْني.

ثالث: وماذا رأيتَ؟

إِيا: رأيتُ دماً يغمرُ الغَمْرَ في لحظةٍ،

ورأيت تيامات ترخي غدائرَها الزرقَ

أوسعَ من سَعة الغمرِ...

رابع: هل جيشُها مثلُ جيشِكَ؟

إِيا: لا. ليس جيشاً...

الأول: إِذن؟

إِيا: مخاليقَ كانَ، عفاريت عاصفةٍ، ورجالاً عقاربَ

ماذا أقول؟

أكلْبُ تياماتَ يطردني؟

الأول: عجباً يا سليل الإِله!

صوت: (هذه الآلههْ

كلُّها

وسواءٌ لها

منزلُ الأرضِ

أو مَعْرَجٌ في السماءْ

هذه الآلههْ

كلُّها

لا تطاقْ)

ثانٍ: إِذنْ، ما العملْ؟

إِيا: أنا لستُ أدري. . .

ثالث: ومَن غيرُكَ اليوم يدري؟

ألست المقدَّم في المعركهْ؟

ألستَ المُحَكَّمَ في الأمرِ؟

هل أرعبتْكَ كلابُ تياماتَ، حقّاً؟

إِيا: أنا أمسيتُ شيخاً. . .

الأول: إِذن، فَلْنُنادِ الفتى!

إِيا: مَن؟

الأول: ومَن غيرُ مردوخَ، ابنِكَ؟

هذا الجميلِ

الطويلِ

الجريءِ

النبيلِ

الذي قاد مَرْكبةَ العاصفهْ. . .

إِيا: فَلْنُنادِ الفتى!

(يخرج الأول ليعود صحبة مردوخ)

مردوخ (لأبيه إِيا): نعم يا أبي؟

(إِيا، مُطرقٌ، لا ينطق)

نعم يا أبي؟

آهِ، لا صمتَ يُنبي كصمتِ الإِله!

الأول: عرفتَ الحقيقة، مردوخُ،

نحن نناديكَ، كي تعتلي، اليومَ، مركبة العاصفهْ

لتقهَرَ جيشَ تياماتَ

تلك التي قد أخافتْ بنبحة كلبٍ أباك. . .

مردوخ: إِذا كان لي أن أردَّ الإِهانهْ

وأقهرَ جيشَ تياماتَ هذا

وأحفظكم آمنين

فلي أن أقول لكم: سلِّموا بيديَّ المقادير

وليكن الأمرُ لي

إِن نطقتُ أُطِعْتُ

وما شئتُ كانْ.

(هتافٌ لمردوخ)

الجوقة: وتنادَى آلهةُ الأقدار

أكلوا خبزاً

شربوا خمراً

حتى انطفأوا سكرا

ولمردوخ الأعلى تركوا الأمرا.

(فاصل)

ـ مردوخ جالس على عرشه الربّاني يتلقى المبايعة ـ

ترتيل: **أنتَ الأعلى بين الآلهةِ الأعْلَين**

ليس يدانيكَ أحدْ

ومن الآنَ، لك الأمرُ

أنتَ تُعِزُّ

وأنتَ تذِلُّ.

من الآنَ، لكَ الأمرُ

والقولُ

منَ الآنَ، لكَ الكلمهْ

مِنَ الآنَ، لك الأمرُ

فاحفظْ، يا ربُّ، مساكنَنا

وانتقم، اليومَ، لنا

ليكنْ أقوى أجنحةِ الريح جناحُكْ

وليقهرْ كلَّ الأعداءِ سلاحُكْ

من الآنَ، لكَ الأمرُ

وعليكَ توكَّلْنا،

فاحفظْنا

يا ربّ

من الآنَ، لكَ الأمرُ.

(فاصل)

ـ الآلهة يأتون بثوب ويضعونه في وسطهم ـ

أحد الآلهة (مخاطباً مردوخ):

أنتَ الأعلى بين الآلهةِ الأعْلَين

وأمامكَ هذا الثوب

فلتُفْنِ الثوبَ بكِلْمَهْ
مردوخ: زُلْ يا ثوب (الثوب يزول).
أحد الآلهة: وَلْتُعِدِ الثوبَ كما كان
بكِلْمَهْ.
مردوخ: عُدْ يا ثوبُ كما كنتَ (الثوب يعود)
الآلهة: من الآنَ، لك العرشُ
لكَ الْمُلْك
ورداءُ الْمُلك

(فاصل)

الجوقة: مالكَ الْمُلكِ والعرش والصولجان
هل ستلقى تياماتَ؟
إِن كانت الحربُ لا بدَّ منها
فأَعِدَّ لها
واستَبِقْ هولَها...
مالكَ الْمُلْكِ والعرش والصولجان
أيَّ قوسٍ ستحملُ؟
أية نارٍ ستشعِلُ؟
أيَّ سهامٍ ستُطْلقُ في اللحظةِ الراجفهْ؟
مالِكَ الْمُلْكِ والعرشِ والصولجان
دَعْ خيولَكَ تصهلُ في الريح
أيُّ الرياحِ تَحَمَّلُ مركبةَ العاصفهْ؟

(فاصل)

ـ تيامات بين جيشها العجيب وإلى جانبها كينغو قائد الجيش ـ

تيامات (لنفسها): لستُ أدري لماذا يضيق المكان
هل مضى بي زماني، ليأتي زمان؟
والحياةُ المديدةُ ما طَعْمُها
إِن تَسَرَّبَ من عِرِقها العنفوان؟
الغدائرُ زرقٌ
وأغنيتي يبستْ
والضَّبابُ الذي يحجبُ الكونَ بانْ
هل مضى بي زماني، ليأتي زمان؟
كينغو: ولكننا، يا تياماتُ، نبدأُ في كل يومٍ بدايهْ
أما قلتِ ليس لبحرٍ نهايهْ
أما قلتِ إِنّ العماء
سيبقى
وإِنّ الفضاء
سَيَخْلُدُ: ماءً وماءْ؟
تيامات: كأنكَ، يا قائدَ الجيش، تغمضُ عينيكَ
عمّا يرى الجيشُ كُلُّهْ.
كأنكَ، يا قائدَ الجيشِ، تُوْقِرُ أُذْنَيْكَ
عن كلِ ما يسمعُ الجيشُ كُلُّهْ. . .

كينغو: أتعنين مردوخَ؟
تيامات: أعنيكَ أنتَ!
لماذا تخبّئُ عنكَ المقاديرَ؟
أنتَ تراها، وتلمسُها، مثلَ صاعقةِ الفجرِ
لكنْ... تخافُ إِذا قلتَ: أعرفُ
يا قائدَ الجيشِ
ما نَفْعُ أن نغمضَ العينَ عن رجفةِ القلبِ؟
ما نَفْعُ أَلاّ نرى المستحيل؟
(صوت الرياح الأربع ومركبة العاصفة)
كينغو: تياماتُ!
إِني لأسمعُ مردوخَ!
تيامات: فَلْيَأتِ
حانَ اللقاءْ!

(فاصل)

الجوقة: جاءَ مردوخُ فجراً بمركبةِ العاصفهْ
جاءَ يسبقهُ البرقُ
مدَّرِعاً نارَهُ
وممتشقاً قوسَهُ
جاءَ يدوي مع الريح:
ريحِ الجنوب، وريحِ الشمالِ
وريحٍ من الشرقِ، ريحٍ من الغربِ

والخيلُ تصهلُ في الفجرِ
والفجرُ مركبةُ العاصفهْ.

(تيامات بين جيشها، وإِلى جانبها قائد الجيش كينغو، يدخل مردوخ)

تيامات (لمردوخ): مَن تكونُ لتكسبَ مجتمعَ الآلههْ؟
ومَن أنتَ حتى يسيروا معكْ؟
سوفَ أسحقُ في لحظةٍ أضلُعَكْ. . .
مردوخ (مُطْلِقاً فيضان المطر): كفى ما رأيناهُ من كبريائِكِ
والعجرفهْ
لقد ملأ الحقدُ قلبَكِ
حتى رفعتِ لواءَ القتالِ
وأوقعتِ بين البنينَ وآبائِهِمْ
وأبغضتِ مَن أنتِ أنجَبتِ
أنكرتِ آلهتي
واحتفيتِ بشرِّ الفِعال.
فاتركي الآنَ جيشَكِ
ولتكنِ الحربُ ما بيننا
وحيدينِ:
لا جيش عندي
ولا جيشَ عندكِ. . .

ملحوظة للمخرج:

بالإِمكان الاستفادة مما ورد في النصّ البابلي: (اينوما ايليش) من وصف للمعركة بين مردوخ وتيامات: القتال فرديّ، استخدم فيه مردوخ شبكةً أوقع تيامات فيها، وحين فتحت فمها لابتلاعه أطلق في فمها الرياح، فامتلأ جوفها، وانتفخ بطنها، وظل فمها مفتوحاً، فأرسل مردوخ سهماً واحداً مزّق أعماقها وشَطَرَ قلبَها، وعندما تهاوت أمامه أجهز عليها، وطرح جثتها أرضاً واعتلاها. أما أتباعُها الذين حاولوا الفرار فلم يجدوا سبيلاً؛ إِنهم محاصرون من كل جانب، وأسلحتهم في شبكة مردوخ. المخلوقات المهولة والعفاريت كُبِّلت بالأصفاد. وأُسِرَ كينغو قائد جيش تيامات.

بالإِمكان استخدام مختلف المؤثرات لتجسيم المعركة.

صوت: هذه الآلهةْ
كلُّها
وسواءٌ لها
منزلُ الأرضِ
أو مَعْرَجٌ في السماءْ
هذه الآلهةْ
كلُّها
لا تطاقْ)

(الأنوناكي يراقبون)

الجوقة: ومردوخُ شَقَّ تياماتَ نصفينِ
كالصَّدَفَهْ
كما يَفتحُ الصَّدَفَهْ
رفعَ النصفَ الأعلى
قال: سماءً كُنْ
فكانت.

(حركة رفعِ السماء)

وتأمَّلَ مردوخُ سماءَهْ
قال: أزيِّنُها بالقمرِ الطالعْ
ليكونَ منازلَ للأيام.

(حركة إِطْلاعِ القمر)

وقال: القمرُ الليلُ

وهذي الشمس نهارٌ
فليتعاقبْ ليلٌ ونهار.
(حركة إِطْلاع الشمس)
من ريقِ تياماتَ سيعلو الغيمُ
ومن هذا الغيمِ سينزلُ ماء
(حركة المطر)
من عينيها فَجَّرَ نهرينِ عظيمين
فسمَّى الأولَ: دجلةْ
والنهرَ الثاني سمّاهُ: فراتْ.
(حركة تفجير النهرين)
وعلى ثدييها ارتفعتْ، خضراءَ، جبالٌ سامقةٌ
ذاتُ عيونٍ يترقرقُ فيها الماء.
(حركة إرساء الجبال)
والأرضَ دحاها من نصفِ تياماتَ الأسفلِ
قالْ:
كُوني أرضاً راسخةً
وسماءً شامخةً
وأنا الكونُ...
أنا: أرضٌ وسماء.
(حركةُ تَمايُزِ الأرضِ عن السماء)
(فاصل)

ترنيمة الآلهة

كان الابنَ فصارَ أباً

كان الهادمَ وهو الباني الآن

كان الريح الجوّابَ

فأمسى حصنَ الأرباب

كان القوسَ فصارَ الباب

كان الابنَ فصارَ أباً

كان الربَّ

فأمسى ربَّ الأرباب

ربَّ الأرباب

ربَّ الأرباب

(مجمع الآلهة. مردوخ. كينغو ـ قائد جيش تيامات ـ مقيَّد)

مردوخ (يخاطب الآلهة): حين يأتي المساءُ، وحيداً، أفكِّرُ

بالأرضِ راسخةً

والسماءِ

شامخةً تتخاطفُ فيها البُروق. . .

حين يأتي المساء

وحيداً

أفكرُ:

إِن كان دجلةُ يجري

ويَجري الفراتُ
لكي يسقيا البحرَ. . .
إِن كان ثلجُ الينابيع يسقي الحجرْ. . .
وإِن كانت الشمسُ
تحرق ما أنبَتَتْهُ يدي من شجر. . .
وإِن كان ضوءُ القمرْ
لا يلاعبُ غيرَ القمرْ. . .
إِذا كان هذا الذي قد أردتُ
فلماذا أتيتُ؟
لماذا أتيتُ بكَوني؟
ألأسكنَ بيتاً وحيداً
أصلِّي وحيداً
أغنّي وحيداً؟
أحد الآلهة: لكنّا يا ربَّ الأربابِ معك. . .
مردوخ: نحنُ، الأربابَ، أحَدْ
أحدٌ واحدْ.
الأحدُ الواحِدْ
إله آخر: يا ربَّ الأربابِ
لكَ الكَلِمَهْ
قدِّرْ ما شئتَ
وقُلْ للمُضمَرِ كنْ فيكون. . .
مردوخ: فكّرتُ بأن أخلقَ من يملأ هذي الأرضَ.

يرى ناصيةَ الشمسِ
ويلعبُ بالأقمارِ.
فكّرتُ بأن أخلقَ من يخلقُ هذي الأرضَ
بقولاً وحقولاً
أزهاراً ومنازلَ
أثواباً زاهيةً وجداولَ
فكرتُ بأن أخلقَ مَن يعبدُني
مَن يعبدُ آلهةَ الكونِ
ويخدمني

(فاصل)

فكّرتُ بأن أخلقَ في هذي الأرضِ:
الإِنسانْ...
الجوقة: عندما شُكِّلت الأرضُ وقامت
عندما حُدِّدَ للأرض مصيرٌ والسماء
عندما امتدّت مع الشطآن دجلهْ
والفراتْ
ذُبحتْ آلهةٌ كي يُخلَق الإِنسانُ
من فيض الدمِ الغالي الإِلهيّ، ومن أعراقه المستنفَرات
وليكن!
لم يُخلَق الإِنسانُ من طينٍ فُتات!

مردوخ: فلتسْمعني الآلهةُ الكبرى
ولتسْمعني الآلهةُ الصغرى
ولتسْمعني الشمس
ليسمعني القمرُ الدوّارُ
لتسْمعْني الأنهارُ
ليسمعْني الجبلُ العالي
والنبعُ الداني
وليسمعْني الموجُ
ليسمعْني الطيرُ
ليسمعْني البحرُ
لتسمعْني الأمطارُ
ويسمعْني الشاطئْ ـ
اليومَ يموتُ إلهٌ خاطئْ
كي يُخلَقَ من دمِهِ الإنسانْ!
أحد الآلهة: أيُّ إلهٍ يا ربَّ الأرباب؟
مردوخ: كينغو، قائد جيشِ تياماتَ، المغلول. . . .
خذوه!
الجوقة: ورد في الإينوما ايليشَ:
انزَلوا به العقابَ
فقطعوا شرايينَ دمائهِ
ومن دمائه جرى خَلقُ البشر.

ـ **ملحوظة إِلى المخرج**: تُوجَّه عناية خاصة إِلى جميع المؤثّرات المساعدة في تجسيد عملية الخلق، وظهور البشر الأوائل بكل البهاء اللائق.

(مجمع الآلهة، الأنوناكي، مردوخ)

أحد الآلهة (مخاطباً مردوخ): مالِكَ الْمُلْكِ والعرشِ

والصولجانْ

مالِكَ المبتدا

مالِكَ المنتهى

يا زمانَ الزمانْ

كيف نشكر الاءَكَ الغاليهْ

كيف نبلغُ سُدَّتَكَ العاليهْ

كيف نمنحك الامتنانْ؟

إِلهٌ آخر (مخاطباً مردوخ): سوف نبني لكَ الهيكلَ

القُدْسَ. . .

إِله ثالث: أنتَ بنيتَ الزمانْ

فدعْنا نُمَكِّنْ لمجدِكَ

دعنا نُشيِّدْ مكانَ المكانْ

مردوخ: لكم ما تشاؤونَ. . .

سوف أسمِّيه بابل

أسمّيه بابل

أسمّيه بابل

(فاصل)

إِلهٌ رابع: سيبنيه خيرُ البُناة
وسوف يكون لنا، أبدَ الدهرِ، بيتاً
له ننحني
وبه نستريحْ
نمدُّ أساساتِهِ لتلامسَ عمقَ المياه
ونرفعُ أبراجَهُ لتلامسَ وجه القمرْ
ونبنيه من طينةٍ لم يَنَلْها حجرْ.
وسوف نسمّيه بابلْ
نسمّيه بابلْ
نسمّيه بابلْ!

(فاصل)

ملحوظة للمخرج: من الضروري تماماً، أن تظهر على خشبة المسرح، أو أي مكان آخر، معالم غائمة لشواخص بارزة، مثل: شارع الموكب. بوابة عشتار. زقورة. حديقة معلّقة... إلخ.

الجوقة: ها هي ذي بابلُ تُبنى.
واحد من الجوقة: فلمن ستكون؟
الجوقة: ستسكنُ بابلَ آلهةٌ.

واحد من الجوقة: أين، إذن، سيقيمُ البنّاؤون؟
الجوقة: وستعلو أبراجٌ، في كل مكان.
واحد من الجوقة: أعلى من قامةِ هذا الإِنسان؟
الجوقة: سيكونُ بها الهيكلُ.
واحد من الجوقة: هيكلُ مَنْ قُتِلوا؟
الجوقة: هيكلُ مَنْ قَتَلوا.
واحد من الجوقةِ: إِن كان الأمرُ كهذا
فلماذا تُبنى بابلْ؟
الجوقة: تُبنى بابلُ كي تُبنى بابلْ
لا بُدَّ لهم، ولنا، من بابلْ
وحسابُ الدهرِ طويل.
واحدٌ من الجوقة: معنى هذا أن التكوينَ بعيدْ
معنى هذا أن عماءً يُبدي ويُعيدْ
معنى هذا أن الخطأَ الأولَ ألبسناهُ ثيابَ العيدْ
معنى هذا أن سؤالي عن معنى مردوخَ طريفٌ وتليدْ
معنى هذا أن الأكذوبةَ ـ لا الأمثولةَ ـ عاليةُ الأبراجْ
معنى هذا أنكِ، يا بابلُ، آخرُ ما نحتاجْ.
الجوقة: أحياناً يمضي المرء بعيداً...
واحد من الجوقة: هل من خطأٍ في هذا؟
الجوقة: لا. لكن قد تتساوى أنتَ ومردوخ...
واحد من الجوقة: كيف؟
الجوقة: من يدري؟

قد تكبرُ بابلُ، تكبرُ
حتى تغدو كالقصرِ تحاصرهُ الأكواخ
وقد تمتدُّ مزارعُها أبعدَ من مرأى العينِ
لتغدو بلدةَ فلاّحينَ
وسوقَ رعاةٍ
واحد من الجوقة: إِن أمستْ بابلُ بلدةَ فلاحينَ
وسوقَ رعاةٍ
أفَليسَ من الممكنِ أن تختارَ إِلهاً فلاّحاً؟
الجوقة: يمكن...
واحد من الجوقة: أم أنّ الراعي أيضاً...
الجوقة: يمكن...
واحد من الجوقة: كيف؟
الجوقة: لن نحكيَ عن بابلَ
لن نحكيَ عن طبقات جنائنها
لن نحكي عن دنيا الطبقاتِ
وعن طبقاتِ الدنيا.
لن نحكي عن آلهةٍ أحياءَ
وعن آلهةٍ موتى
لن نحكي عن بابلَ...
ما بابلُ؟
ما بابلُ هذا العصرْ؟
هل بابلُ غيرُ جدارٍ تَرِبٍ، وخواتمِ طينْ

ورؤوسِ تماثيلٍ مقطوعهْ
وأواني مقتولينْ؟.
فابحثْ بين متاريسِ الكونِ
وشيِّدْ متراسَكَ:
أعلى
أعلى
أعلى،
شيِّدْ عاصمةَ البنّائينْ.

«ستار»

نيقوسيا، ٢٩/ ٥/ ١٩٨٨

القسم الثاني

نزول عشتار
إلى العالم السفليّ

(لوحة تقدِّم لحضور عشتار، وتتضمّن هيأة الخشبة)

شجرٌ يَدَّني
شجرٌ يدَّني هادئاً
شجرٌ يدّني هادئاً مثلَ ريح المساءْ
شجرٌ لا غصونَ بهِ
شجرٌ لا عيونَ بهِ
شجرٌ مستدير
شجرٌ مستديرُ الورقْ
شجرٌ لا غصونَ بهِ
لا عيونَ بهِ
ليس غيرُ الورقْ
ليس غيرُ الشذى المستديرْ
كانت الريحُ تدخل كالضيفِ
تلمسُ كفَّ الورقْ
ورقهْ
ورقهْ
كانت الريحُ تدخل في الغاب كي تستريح
وكي تتركَ الليلَ مستوحداً والورقْ. . .

الجوقة: أيّها البدرُ، ما أجملَكْ

يا فتاتي

يا فتاتي التي سافرتْ منذُ حينْ

ثم جاءت مع الياسمينْ

أيّها البدرُ ما أجمَلَكْ

يا فتاتي

يا فتاتي التي سافرتْ في الظلامْ

ثم عادت وصدرَ الحمَامْ

أيّها البدرُ، ما أجملَكْ...

يا فتاتي

يا فتاةً تُدير الفَلَكْ...

أيّها البدرُ، ما أجملَكْ!

(غابة الورق المستدير. القمر بدر)

عشتار (تدخل): أنا الأول، وأنا الآخر

أنا البغيّ، وأنا القديسه

أنا الزوجة، وأنا العذراء

أنا الأمّ، وأنا الإِبنه

أنا العاقر، وكُثْرٌ هم أبنائي

أنا في العرس الكبير ولم أتخذْ زوجا

أنا القابلةُ، ولم أنجبْ أحدا

وأنا سُلوةُ أَتعابِ حَملي

أنا العروس، وأنا العريس

وزوجي مَن أنجبني

أنا أم أبي، وأختُ زوجي

وهو من نسلي.

انكمدو (يدخل حاملاً نذوره فاكهةً وبقلاً):

يا سيدةَ الغابات

يا سيدةَ البرِّيّهْ

يا واهبةَ الفتياتِ النُّضرهْ

يا واهبة الفلَواتِ الخُضرهْ

يا مالئةَ الكأسِ الذهبيهْ

يا متسربلةَ اللّذةِ

يا عسلَ الشفتينِ

ويا لألاءَ العينينِ

ويا حاضنةَ النبتِ الطالعِ كالرمحِ

ويا سُرَّة هذي الدنيا...

عشتار: ماذا، يا انكمدو الفلاّح؟

انكمدو: قد جئتُكِ يا سيدةَ الدنيا بنذوري

عشتار: أيَّ نباتٍ لم أُحْيِ

وأيَّ حياةٍ لم أُنبتْ

يا انكمدو؟

انكمدو: لكنّي يا سيدةَ الأقمارِ

أتيتُ بما لم يأتِ به أحدٌ من قبلُ...

عشتار: أتيتَ بماذا، يا انكمدو الفلاّح؟

انكمدو: لن تجدي غيري يا سيّدةَ الأقمار...

عشتار: عجباً... يا انكمدو!

انكمدو: يا سيّدتي عشتار...

عشتار: وأراكَ تريد كثيراً، يا انكمدو...

انكمدو: أريدُ بقدْر نذوري وهواي.

عشتار: عجباً... يا انكمدو!

انكمدو: جئتُ بأغصان القمر الأولى.

(يقدم الأغصان فتأخذها بيمينها)

عشتار: ما أخصبَ حقلَكَ يا انكمدو!

انكمدو: سيّدتي!

نبتي لا يخصب إِلا فيك...

عشتار: الآنَ، أردتَ كثيراً، يا انكمدو!

انكمدو: سيّدتي!

نبتي لا يخصب إِلا فيك...

عشتار: انكمدو!

(يدخل تموز. معه جَدْي، وناي)

تموز (متلفّتاً بين عشتار وانكمدو):

ما الذي جاء بكَ اليوم إِلى عشتار؟

انكمدو... قل الحقَّ!

أجئتَ اليومَ من بستانك المخضلِّ، بالفاكهة الأولى؟

أجئتَ اليومَ بالخمرِ

وبالتمرِ؟

تُرى... هل تبتغي عشتارُ هذا الخمرَ

والتمرَ

أو الفاكهةِ الأولى؟

تقدَّمْ أيّها الفلاّح، قل: ما شأنُنا والخمرَ والتمرَ؟

أتدري أنهم في العالم الأعلى

يعيشون على ضوع رحيقٍ ذائبٍ؟

هل جئتَ بالنُّذر لعشتارَ ولا تدري الذي ندري؟

لكَ العذرُ

ولي العذرُ،

ولكن، أيّها الفلاح، لن تقطفَ من عشتارَ

غيرَ النظرةِ المحضِ،

فلا تنسجْ لكَ الأحلامُ أفوافاً من البرديّ...

لا تطمعْ بما جئت لَهُ...

وارجعْ إِلى البستان، انكمدو!

انكمدو: لكني جئتُ بأغصان القمر الأولى

ها هي ذي!

انظرْ!

عشتار (إِلى تموز): أغصانُ القمر الأولى

بيميني، يا تموز...

انظرْ!

تموز: يا انكمدو...

لن تقطفَ من عشتارَ سوى النظرهْ.

انكمدو: لكنكِ، يا عشتارُ، فرحتِ بنُذري...

(تموز يعزف على الناي)

عشتار: اسمعْ يا انكمدو...

أغمضْ عينيكَ قليلا.

ماذا تبصرُ يا انكمدو؟

انكمدو: لا أبصرُ غيرَكِ يا عشتار...

عشتار: أوَ ما أبصرتَ حفيفَ القصبِ المتطامنِ تحت الماءْ؟

أوَلم تلمسْ نِيْلوفَرَةَ الأشذاءْ؟

والغيمُ العابرُ تحت سماواتِ الوردِ...

ألم تبصرْهُ؟

وهذا القمرُ الوضّاءْ؟...

انكمدو: لن أبصرَ غيرَكِ يا عشتارْ...

عشتار: لن تبصرَني، يا انكمدو

ما دام البستانْ...

لكَ بستانُكَ، يا انكمدو

لكَ بستانُكَ، فاقنَعْ...

لا فلاّح له بستانانْ.

(تأخذ جَدْيَ تموز بشمالها. تخرج هي وتموز.

يظل انكمدو وحده، برهةً، حتى اختتام المشهد)

رقصة احتفاليّة في الساحة العامّة

علَّمني حبُّكِ، علَّمني
أن أفتتحَ الوردةَ في الغُصنِ
علَّمني حبُّكِ، يا قُبَلي
أن أمزِجَ خمراً بالعسلِ
علَّمني حبُّكِ أن أثِبا
كالسهمِ، وأن أجتنيَ الحَببا
علَّمني حبكِ، علَّمني.

* * *

أهديتُ غزالي إِسوارهْ
للبيتِ
وأخرى للحارهْ
لم يمضِ غزالي ليلتَهُ
لا والبيتُ غدا حارهْ
أيّةُ إِسوارهْ
جُنَّ بها. . .
أيّةُ إِسوارهْ؟
علَّمني حبكِ، علَّمني.
سلّةُ رمّانٍ في باب السورْ
سلّة رمانٍ. . .
مَن يأخذُ منها؟ من يأكلُها؟

قال الحراسُ : سنأخذُها ،
وسنأكلُها ، القشرةَ والبذرهْ .
لكنّ السلّةَ طارتْ
لكنّ السلّةَ دارتْ
واختبأَ الرمّان
بين ثياب وصدور
والسلّةُ ما عادت في باب السور
علَّمني حبُّكِ ، علَّمني .

* * *

في أعلى النخلةِ قُمْريّهْ
هام بها مجنون القريهْ
قال لها : يا قُمريّهْ
إِني عاشقُكِ المفتونْ
لو كان لديّ جناحانِ صعدتُ إِلى أعلى النخلهْ
فهبيني أنتِ جناحينِ
أنا عاشقُكِ المفتونْ
والقمريّةُ دارتْ
القمريّةُ طارتْ
القمريّةُ طارت والمجنونْ
علَّمني حبُّكِ ، علَّمني .

(عشتار بكامل زينتها تنزل إِلى العالم السفليّ)

عشتار (تطرق الباب): افتحْ يا خازن. . .

افتحْ بابَ البيت

حيث الداخلُ لا يخرجْ.

افتحْ يا خازن

افتحْ هذا الدرب

حيث السالكُ لا يرجعْ

افتحْ يا خازنُ، هذا البابْ

افتحْهُ، وإِلا حطّمتُ مزاليجَ الباب

وأيقظتُ الموتى. . .

الخازن (من خلف الباب): سيّدتي، مهلاً، لو حطّمتِ الباب

هلكنا. . .

سيّدتي، أنا ماضٍ، سأقولُ لأختكِ:

سيّدتي جاءت

عشتارُ الموصوفةُ جاءت. . .

سيّدتي، مهلاً، بعد قليلٍ أفتحُ هذا الباب

ارشكيجال (الخازن يدخل): من ناداكَ لتأتي الآن؟

الخازن (مرتبكاً): سيّدتي عشتارُ، تدقّ الباب

ارشكيجال (تشحب): كيف أتت عندي؟

أيُّ فؤادٍ قال لها أن تأتي عندي؟

أتريدُ لأرشكيجالَ رغيفَ الطينِ

وخمرَ الوحلِ

وفاكهةَ المقتولين؟

الخازن: ماذا أفعلُ يا سيّدتي؟

ارشكيجال: دَعْها تدخلْ يا خازنُ. . .

دعْ عشتارَ الموصوفةَ تدخل هذا الباب

الخازن: عجباً يا سيدتي!

ارشكيجال: تدخلُ كالداخل من هذا الباب. . .

الخازن: كالداخل من هذا الباب؟

ارشكيجال: تماماً. . .

الخازن: عجباً يا سيدتي!

ارشكيجال: تدخل كالداخل من هذا الباب

تماماً. . .

(الخازن يخرج)

الخازن (يفتح الباب الأول لتدخل عشتار):

تاجَكِ سيدتي (يرفع التاج)

عشتار: ولماذا ترفع تاجي؟

الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي.

عشتار (أمام الباب الثاني): هذا الباب الثاني، يا خازن. .

الخازن: سيدتي، آخُذُ هذينِ القرطين. . (ينزع قرطيها)

عشتار: ولماذا تأخذ قرطيّ؟

الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي.

عشتار (أمام الباب الثالث): هذا الباب الثالث، يا خازن. .

الخازن: أنتزعُ الآنَ قلادتَكِ الوهّاجةَ، سيّدتي.
عشتار: ولماذا، يا خازن؟
الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي.
عشتار (أمام الباب الرابع): هذا الباب الرابع، يا خازن
الخازن: سيّدتي... أنتزعُ الآنَ حُلِيَّكِ...
عشتار: ماذا يا خازن؟
الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي...
عشتار (أمام الباب الخامس): هذا الباب الخامس، يا خازن
الخازن: سيّدتي... أنتزعُ الآنَ الزنّار
عشتار: هل تنزع عني زنّارَ الأسرار؟
الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي.
عشتار (أمام الباب السادس): هذا البابُ السادس، يا خازن
الخازن: سيّدتي، أنتزعُ الآنَ أساورَكِ المثلى وخلاخيلكِ
عشتار: ماذا يا خازن؟
الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ، سيّدتي...
عشتار (أمام الباب السابع):
وأخيراً، هذا الباب السابعُ، يا خازن...
الخازن: سيّدتي، أنزعُ عنكِ المئزرْ
عشتار: يا خازنُ.. حتى المئزرْ؟
الخازن: سُنَّةَ هذا العالمِ سيّدتي...
عاريةً ستلاقين ارشكيجال...
وعاريةً ستظلّين.

(قاعة عارية. أبخرة. ظلال. موسيقى إلكترونية.
ارشكيجال واقفة تنتظر. تشبه عشتار تماماً.
الفرق هو ما بين النور والظلام)

عشتار (تدخل عارية): جئتُ لأسألَ...

ارشكيجال: عمّنْ؟

عشتار: لا أسألُ عن أحدٍ

أسألُ عن معنى.

ارشكيجال: عشتار!

يا سيّدةَ العالمْ

يا سيّدةَ السنبلِ والغزلان

يا نصفي الجذلان

يا أختي

يا مالكةَ الأوّلِ والآخرِ

أنتِ تجيئين إليّ؟..

باحثةً عن معنى

في عالميَ الداثرْ؟

ثم، لماذا تسأل عشتار

وقد جاءتني طائعةً تدخل في عالميَ الداثرْ

لتظلّ معي

في غسقٍ لا أوّلَ فيه ولا آخِر؟

ما معنى البحثِ عن المعنى

في مُنتبَذي العاثر
في غَسَقٍ لا أوّلَ فيه ولا آخِرْ؟
(تخاطب الحارس)
خذْها
أوثِقْها لعمود الأحزانْ
واتركْها تأسى معنا في الأبد النعسانْ. . .
(الحارس يوثق عشتار العارية إِلى عمود)
عشتار: ارشكيجالْ
يا أختي. . . جئتُكِ أسألُ
ارشكيجالْ: عَمَّ؟
عشتار: رأيتُ الناسَ يموتون بأسواق المدن الكبرى
آلافاً، آلافا
ورأيتُ الغصنَ الأخضرَ يذوي
والماءَ يغورُ
ونارَ الأجبال تفورُ،
رأيتُ الأطفالَ عظاماً في وُكُناتِ الطيرِ
فقلتُ: لماذا؟
ارشكيجال: يا أختي
يا قمري
يا نصفي الجذلانْ. . .
ها نحن تساوَينا، وانطبقَ النصفانْ
قمراً أسودَ.

عشتار: لكني سأعود.
ارشكيجال: لا عودةَ من وادي النسيانْ
عشتار: والنبتُ الأخضرُ؟
والمدنُ النهريةُ؟
والموسيقى؟
والألوانْ؟
ارشكيجال: لا عودةَ من وادي النسيانْ.
عشتار: وحبيبي تموز؟
ارشكيجال: تظلِّين معي في وادي النسيانْ.
عشتار: وماذا عن زهرتيَ الأرضيةِ
ماذا عن ولدي الإِنسان؟
أنا جئتُكِ كي أمنحَهُ السلوى،
لم آتِ لأمنحَكِ السُّلوانْ.
ارشكيجال (متجهّمة): فَلْيُفْدَ الإِنسانُ، إِذنْ..
عشتار: أنا أفديهِ
ارشكيجال: ولكنكِ، يا عشتارُ، إِلهتُهُ...
وفداء الإِنسانِ، الإِنسانْ
عشتار: مَن يفديهِ؟
ارشكيجال: أنا أختارُ
عشتار: قبلتُ...
ارشكيجال: إِذن، تموزُ هو الفادي
تموز سيهبط في وادي النسيان

تموز سيسكن في مملكة الموتى

عشتار: وأنا؟

ارشكيجال: ستعودين إِلى الدنيا

وتعود الخضرةُ للأشجارْ

ويجري السَّلْسَلُ في الأنهارْ

ويعود الأطفالُ إِلى أغنيةِ الطيرِ

وتنضجُ في الفتياتِ الأثمارْ

عشتار: وتموز؟

ارشكيجال: يظلُّ هنا الفادي

ليكونَ أميرَ الإِنشادِ، وأغنيةَ الموسِمْ

ويكونَ لكِ الابنَ الملهِمْ. . .

عشتار: ما أقسى قلبَكِ، يا أختي!

ارشكيجال (للحراس): فَلْيُؤتَ بتموز حالاً. . .

ولتصعدْ عشتارُ إِلى الدنيا

ولتأخذْ زينتَها والحَلْيا. .

عشتار: سأعود إِليهم، عاريةً. . . يا أختي!

الجوقة: جاء عفاريتٌ سودٌ

وطيورٌ سودٌ

ومناقيرٌ سودْ. . .

لم يترِكوا مرعى

لم يترِكوا قصباً أو زرعا

بحثاً عن تموزَ المنكودْ
وأخيراً غَلُّوه
بسلسلةٍ،
وبأسياخٍ حاميةٍ شَلُّوه
وبكُلاّباتٍ مخالبهم حملوه
حتى الأرض المنسيّةِ
حتى مملكةِ الموتى.
يا تموزُ، الأولُ والآخِرُ، يا تموزُ المنكود
يا قلبَ القصبِ المترنّحِ والريحَ
ويا سقفَ البيتِ، ويا تاجَ عمود
يا حَجَرَ الركنِ المعقود...
لن تخفيكَ الأعشابُ
ولن يخفيك الأحباب
لن يخفيكَ الليلُ ولا الأثواب
حتى لو كنتَ غزالاً، لن تنجو يا تموز
أختُكَ خافتْ
يا سقفَ البيتِ
ويا مُدَّرَعَ الناسِ
فكان الشفقُ المنكودْ

(العالم السفليّ. يؤتى بتموز مغلولاً مدمّى. ارشكيجال
بين عشتار الموثقة إِلى عمود، وتموز)

ارشكيجال: لكِ أن تمضي يا عشتار...

يا خازنُ

خذ عشتار

وافتحْ كلَّ الأبوابِ السبعة

باباً، باباً

كي تطلع عشتار

بزينتها المثلى.

عشتار: لن أخرجَ يا أختي

إِلا عاريةً.

ارشكيجال: إِن كنتِ تريدينَ...

عشتار: ولكن، لن أخرجَ يا أختي

إِلا ومعي تموز...

ارشكيجال: تموزُ، هو الإِنسانُ الفادي

لن يخرجَ...

ما مِن فادٍ يخرجُ من فِدْيَتِهِ

عشتار: وإِذن،

سأظلّ هنا، يا أختي!

ارشكيجال: لن يرضى القمرُ...

عشتار: والبشرُ؟

ارشكيجال: ما أفدحَ هذا الحبَّ، وما أقساه!

عشتار: هذا تموزُ

حبيبي

ولدي

وغريبي،

لن أتركه في مملكةِ النسيان. . .

ارشكيجال: كوني مع أختِكِ يا عشتار

عشتار: لن يرضى القمرُ. . .

ارشكيجال: سيجيء القمرُ الأسودُ.

عشتار: لا.

إِنّا نصفاهُ. . .

ارشكيجال: فأين القمرُ الكاملْ؟

عشتار: نحن نديرُ الكونَ، ارشكيجال

بيدينا، نحن، الفَلَكُ الدّوار

نمنحهُ الأقمار

وتقديرَ الأعمار

ارشكيجال: ما أجملَ نطقَكِ، يا عشتار. . .

عشتار: والآنَ؟

ارشكيجال: الإِنسانَ الفادي لن يخرجَ

تموزُ الفادي لن يخرجَ من مملكةِ الموتى. . .

عشتار: لو كان إِلهاً!

ارشكيجال: ليكنْ!

عشتار: ما أجملَ نطقَك، يا أختي!

سيكونُ إِلهاً

حبي سيكون إِلهاً

ولدي سيكون إِلهاً
تموزُ الراعي سيكون إِلهاً
تموزُ الفادي سيكون إِلهاً.
ارشكيجال: وسيخرجُ من مملكةِ الموتى،
عشتارُ...
وأنتِ معهْ.
(تلتفت إِلى الخازن)
يا خازنُ
زيِّنْ عتباتِ الأبواب
وانضَحْ عشتارَ بماءِ حياةٍ دافقْ
ولتأخذْها من مملكةِ الموتى...
أما تموزُ الفادي
فليُغسَلْ بالماء الطاهرِ،
ولْيُنضَحْ بالطيبِ
لِيَلْبَسْ تموزُ عباءتَهُ
وَلْيَعْزِفْ خلَجاتِ الناي
يا خازنُ
خذْ تموزَ بعيداً عن مملكةِ الموتى.

(يخرج تموز وعشتار)

ـ ملامح غائمة من بابل. حديقة معلقة. زقورة. باب عشتار... إلخ. ساحة ـ

(رقصة احتفاليّة في الساحة العامّة)

علَّمني حبُّكِ، علّمني
أن أفتتحَ الوردةَ في الغُصنِ
علّمني حبُّكِ، يا قُبَلي
أن أمزجَ خمراً بالعسلِ
علّمني حبُّكِ، أن أثِبَا
كالسهمِ، وأن أجتنيَ الحَببا
علّمني حبُّكِ، علّمني.

***

أهديتُ غزالي إِسوارهْ
للبيتِ
وأخرى للحارهْ
لم يُمْضِ غزالي ليلتَهُ
إلا والبيتُ غدا حارهْ
أيّةُ إِسوارهْ
جُنَّ بها...
أيّةُ إِسوارهْ؟

علَّمني حبُّكِ، علَّمني.

* * *

سلّةُ رمّانٍ في باب السورْ
سلّة رمانٍ. . .
مَن يأخذُ منها؟ من يأكلُها؟
قال الحراسُ: سنأخذُها،
وسنأكلُها، القشرةَ والبذرهْ.
لكنّ السلّةَ طارتْ
لكنْ السلّةَ دارتْ
واختبأَ الرمّان
بين ثياب وصدور
والسلّةُ ما عادت في باب السور
علَّمني حبُّكِ، علَّمني.

* * *

في أعلى النخلةِ قُمْريّهْ
هام بها مجنونُ القريهْ
قال لها: يا قُمريّهْ
إِني عاشقُكِ المفتونْ
لو كان لديّ جناحانِ صعدتُ إِلى أعلى النخلهْ
فهبيني أنتِ جناحينِ
أنا عاشقُكِ المفتونْ

والقمريةُ دارتْ
القمريّةُ طارتْ
القمريّةُ طارت والمجنونْ
علَّمني حبُّكِ، علَّمني.

(ستار)

لارناكا، ٢٢/٦/١٩٨٨

القسم الثالث

جلجامش

(أسوار أوروك. غَبَش. جلجامش يرتدي ثوباً بسيطاً)

جلجامش (متأملاً): هذا ليلٌ آخَرُ يمضي

بهواجسهِ

ونواياهُ

بسحائبهِ

ورؤاهُ

ليلٌ آخرُ يمضي،

لكنّي، وأنا نِصفُ المدفونِ بأرضي

سأظلّ، وحيداً أنتظرُ الليلَ الآتي

بهواجسهِ

ونواياهُ

بسحائبهِ

ورؤاهُ

لم يتبقَّ لديّ سوى الليلِ، الليلِ، الليلِ

فماذا تحمل لي الأيّامُ؟

ألَمْ أرَ ما في الأرضِ

وما في كلِّ تخومِ الأرضِ

أوَلَمْ أعرفْ ما لا يُعرَفْ؟

أوَلم تكسرْ عيناي صخورَ الظلمهْ؟

أوَلم أدركْ أسرارَ الأشياءِ
وأشياءَ الأسرار؟
أوَلم تأكلْ قدماي الأسفار؟
أوَلم أقطفْ، كالبستانيّ الغاوي، ألفَ امرأةٍ؟
أوَلم أقتلْ بيديّ، يديّ العاريتين، أسودَ الغابِ
وثيرانَ النار؟
وأوروكُ الأسوار...
ألم أرفعْها، حجراً حجراً، حتى ائتلقت أحجاري
كالأزهارْ
قدتُ جيوشاً
وبنيتُ قصوراً
وحصوناً
ورفعتُ، بآجُرِّي، معبدَ عشتار...
وماذا؟
جلجامشُ أقوى؟
كيفَ؟
وهذا ليلٌ آخرُ يمضي
بهواجسهِ
ونواياهُ
بسحائبهِ
ورؤاهُ
وأنا، أنتظرُ الليلَ الآتي

بهواجسهِ

ونواياهُ

بسحائبهِ

ورؤاهُ. . .

جلجامشُ أقوى؟

حقاً! لكنْ بين الضعفاء

إِن كنتُ الأقوى، فَلأَكنِ الأقوى بين الأكْفاءْ. . .

قادةُ جيشي يرتعدون إِذا جئتُ،

فهل قادةُ جيشي، الأعداءْ؟

والفتياتُ المذعوراتُ يَمُتنَ

إِذا هُجِستْ خطواتي في الساحةِ. .

والشبانُ يفرّون إِلى القصْباء،

فأيَّ وباءٍ أحملُه؟

أيَّ وباء؟

أيُّ كوابيسٍ تغسلُ شَعري عَرَقاً

وتُقلِّبني كالشحم على وقْدِ الحصباء. . .

(تظهر أمه ننسون، وهي تشبه عشتار، وترتدي ثوباً بسيطاً).

ننسون: جلجامش!

جلجامش: أمّي. . .

ننسون: مَن جاءَ بكَ الآنَ إِلى الأسوار؟

أتراقبُ جيشَ عدوٍّ في الأفقِ المحمَّرِ

أم الروحُ تُقلِّبُها وهي تلوب؟

جلجامش: يا أمّي، أرهقَني الليلُ...
ننسون: وما الليلُ سوى صورتِنا.
جلجامش: المقلوبة؟
ننسون: لا، يا ولدي.
جلجامش: إِن كان الأمرُ كهذا، والحلمُ حقيقهْ
فأنا العاثرُ والحائرُ، يا أمّي...
ننسون: أخبِرْني، يا جلجامش
أسرِرْني، يا ولدي، برُؤاك...
جلجامش: كان الليلُ
وكنتُ أسيرُ وحيداً في طرف الساحةِ، حينَ نظرتُ إِلى أعلى
أبصرتُ نجوماً تتزاحمْ وإِذا بي ألمحُ نجماً منها يهوي بين يديّ.
نجماً أشعلَ في الساحة نورَ الأنوار.
قلتُ: لألمسْ هذا النجمَ
لأرفعْهُ قليلا...
كان النجمُ ثقيلا
لم يتزحزحْ،
وازدحمَ الناسُ عليهِ...
ننسون: وهل غابَ النجم؟
جلجامش: لا، يا أمّي
لكني مِلْتُ عليهِ
كأني أكتَنِهُ امرأةً

ثم حملتُ النجمَ إِليكِ
إِلى قدميكِ. . .
ننسون: غريبٌ!
جلجامش: أمّا أنتِ، فقلتِ:
وجدتَ الكُفْءَ الغائبَ يا جلجامش. . .
ننسون: يا ولدي،
هذا حلمٌ يُروى، أَفَلا تروي حلماً آخر. . .
جلجامش: كنتُ أسير، صباحاً، في السوق
ورأيتُ الناس قد التمُّوا. . .
ننسون: وعلامَ التمُّوا؟
جلجامش: كانت فأسٌ في السوق.
قلتُ لأرفعْها
مِلتُ عليها
وكأني أكتَنِهُ امرأةً
ثم حملتُ الفأسَ إِليكِ
إِلى قدميكِ. . .
فقلتِ: وجدتَ الكُفْءَ الغائبَ يا جلجامش!
ننسون (متهدّجة): ليس النجمُ سوى رجلٍ يأتي أوروكَ قريبا
رجلٍ سيكون أخاً وحبيبا
سيُعادي، وهو القادرُ، مَن عاداك
ويوالي مَن والاك. . .
جلجامش: والفأس؟

ننسون: ليس الفأسُ سوى الرجلِ الآتي أوروكَ قريبا
كان يعيش طليقاً، ووحوشَ البرِّيّهْ
سيجيء إِلى أوروك
سيكون أخاً وحبيبا
وستفرحُ، يا جلجامشُ، بالرجلِ الآتي أوروكَ قريبا
وكأنكَ تفرحُ بامرأةٍ،
سيعادي مَن عاداك
ويوالي مَن والاك.
ستعانقُه يا ولدي
وستأتيني بالرجلِ الآتي، يا ولدي...
الجوقة: يا سيّدات بابلْ
لنختصِرْ، لكُنّ، أنتنّ فقط، يا سيدات بابلْ
قصةَ انكيدو الذي عاش مع الوحوشِ
والذي حوّلَهُ الحبُّ
إِلى أجملِ مَن تذكرهُ أجملُ سيّدات بابلْ:
لا بدّ أنكنّ قد سمعتُنّ بصيادٍ أتى جلجامشَ المسكونَ:
جلجامش!
في بريّةِ الوحش، رأيتُهُ
كان يسابقُ الوحوشَ، والغزلانَ للماءِ
وساقاهُ تطيرانِ مع الريحِ
ويكسو جسمَهُ الشَّعرُ
جميلٌ، وقويٌّ، هوَ...

جلجامشُ، حينَ استذكرَ الحلمَ، وما قالت له الأُمُّ
اصطفى عاهرةً من بيتِ عشتارَ،
وقال: فَلْتمضي مع الصيادِ
ولتأتي بهذا الرجلِ الوحشِ،
فتىً مستأنَساً. . .
يدخلُ أوروكَ كما أدخُلُها.
إِمضي. . .

(البغيّ تدخل. تشبه عشتار تماماً)

البغيّ: سادتي
للمفاتنِ فِطنَتُها
وأنا امرأةٌ،
ومقدَّسةٌ مثلما تعرفون، بمعبد عشتارَ أيضاً
إِذن، أنا أؤمن بالحبِّ
بامرأةٍ تصنع الحبَّ
إِني وعشتارَ، واحدةٌ
نحن في معبدٍ واحدٍ
والرجالُ على بابِ معبدِنا أسوياءٌ سواءْ
هكذا قلتُ أمضي إِلى رجلٍ في العراءْ
في العراءِ البعيد. . .

الجوقة: لكنكِ أمضيتِ معَهُ
سِتَّةَ أيامٍ
سبعَ ليالٍ

فهل استمتعتِ معهْ؟

البغيّ: مُتعتي فِتنتي

أنا أبصرتُ كيف تلينُ ذراعاهُ

كيف تَمَوَّجُ ساقاهُ

هدهدتُه، وهو يرقدُ مسترخياً

ثم ضمّختهُ بالعطورِ

وبالزيتِ مسَّدْتُ أحلى الجدائلِ

أطعمتهُ خبزتي

وساقَيتُه خمرتي

ثم أغفى. . .

وحين استفاقَ رأيتُ فتى الحُسْنِ

أجملَ فتيانِ أوروكَ. . .

يا فتنةَ المنتهى!

(ساحة السوق في أوروك. الناس يتجمعون. يقترب انكيدو مع البغيّ. كانت البغيّ شقّت ثوبها نصفين. كست انكيدو بأحدهما واكتست هي بالآخر)

انكيدو: خذيني إِلى حيثُ جلجامشُ الثورُ. . .

جلجامشُ الطاغيهْ

دعيني أقولُ له: لستَ أقوى ـ

وقد جئتُ.

إِني وليدُ البراري

أتيتُ لأُبْدِلَ شِرعةَ أوروكَ . . .

البغيّ : فلْتنتظرْ !

سوف يلقاك جلجامشُ المقتدرْ

وهو أقوى . . .

انكيدو (يمسك برجلٍ عابرٍ في الساحة) :

إِلى أين تسرعُ؟

الرجل : أمضي إِلى ساحة السوقِ .

انكيدو : ماذا هنالكَ؟

الرجل : جلجامشُ الفذُّ (يبتعد الرجل) .

(انكيدو (للبغيّ) فلنمشِ أيضاً إِلى ساحةِ السوقِ ولتسرعي . . . (يسيران . انكيدو يتقدم البغيَّ . الناس متجمعون في الساحة . بعضهم يشير إِلى انكيدو : إِنه يشبه جلجامش . إِنه أقوى مَن في البريّة . لقد رضع حليب حيوان البرّ) .

الجوقة : في بابِ الساحةِ، انكيدو .

جاء إِلى الساحةِ، جلجامش .

انكيدو سدَّ الباب

قال لجلجامش : لا تدخلْ

جلجامشُ أمسكَ انكيدو

انكيدو أمسكَ جلجامش

واشتبكا كالثورين .

البابُ تهدَّمْ

واهتزَّ جدارُ السوق. . .

والثورانِ اشتبكا في سوقِ البلدهْ

والناسُ تصيح:

جلجامش. جلجامش.

انكيدو. انكيدو.

وأخيراً هدأ الثوران. . .

وانكيدو قال لجلجامش:

أنتَ الرجلُ الفذُّ

ارفعْ رأسَكَ بين الناسِ جميعا

ترفعْ رأسي

ترني سيفاً وربيعا

سنكون معاً أخوينِ

نسيرُ معاً حتى مَلْقَى البحرينِ. . .

نسيرُ معاً حتى نفتحَ أبوابَ الدنيا.

(ينتهي المشهد)

(جلجامش مع انكيدو في برج حراسة على أسوار أوروك. الوقت أوّل الغروب)

جلجامش: يا انكيدو

قلبي مضطربٌ مثل وُرَيقةِ بُرديٍّ بين الأسماك

وقد يهدأ قلبي حين أراك

لكني، كالناعورِ، أعودُ لأغرفَ من مائي . . .

انكيدو: ولماذا تقلقُ يا جلجامش؟

إِنك سيدُ أوروكَ وحاميها

باني معبدِها أنتَ

وخبزُ أغانيها

فلماذا تقلقُ يا جلجامش؟

جلجامش: ليست أوروكَ، الحلمَ

وليس المعبدُ دارَ بقاءٍ إِلاّ لإِلهتهِ

انكيدو!

نحن نموت

فهل سوف يموتُ الشرّ؟

أم أنّ القبحَ سيخلُدُ مثلَ الدهرْ؟

انكيدو: قالت لي البنتْ

كلْ خبزاً

واشربْ خمراً

وتمتَّعْ . . .

جلجامش: لكنّ الأمرْ

أعمقُ مما تُخفي أعماقُ البحرْ . . .

انظرْ يا انكيدو!

(يشير إِلى النهر وقد طفت عليه جثث الموتى)

انظرْ جثثَ الموتى طافيةً فوقَ الماء . . .

والنهرُ يسيلُ بها نحوَ البحر
ستقضمُها الأسماكُ هنا
وستنهشُ حيتانُ البحر
مَن كان فتيّاً وجميلا
وحكيماً ونبيلا . . .

انكيدو: أوَلَمْ تعرفْ آلهةُ الكونِ بهذا؟

جلجامش: مَن يسألُ عمّا لا تحتاجْ؟
لكني سأخلِّدُ اسمي
سأخلِّدُ اسْمَينا . . .

انكيدو: كيف؟

جلجامش: سنسيرُ معاً يا انكيدو
كي نمسحَ عن وجهِ الأرضِ، الشرْ . . .
سنسيرُ إلى غاباتِ الأرزِ
لنذبحَ خمبابا الوحشَ
لنمحوَ روحَ الشرِّ
ويَخْلُدَ إسمانا أبدَ الدهرِ

انكيدو: وإنْ مُتنا؟

جلجامش: لا بأسَ،
سيحكي الآتونَ حكايتَنا
ويقولونَ: أرادا قتلَ الشرْ . . .

(نهاية المشهد)

(في الساحة الرئيسية بأوروك. الناس محتشدون لاستقبال جلجامش وانكيدو، بعد عودتهما من غابة الأرز حيث ذبحا خمبابا الوحش. عند السور، عشتار. جلجامش وانكيدو وسط الناس المهلّلين)

عشتار (لنفسها): يا لَجمالِ الرجلِ الظافر!

يا لَجمالِ جدائله المرخيّةِ حتى الكتِفين. . .

يا لَجمالِ الثوبِ

ويا لَبريقِ التاج على مَفْرِقِهِ

يا لَبهاءِ سلاحِهْ!

يا قوّةَ سِربِ الثيرانِ على فَخِذَيهْ. . .

(تميل بنصف جسمها على السور وتخاطب جلجامش)

جلجامشُ!

هَلاّ جئتَ إِليّ. . .

لتكنْ زوجي يا جلجامشْ

أكُنِ الزوجهْ.

جلجامش: عجباً يا عشتار!

عشتار: مركبةٌ من ذهبٍ سأقدِّمها لو جئتَ إِليّ. . .

وستدخلُ بيتاً فوّاحاً بشذى الأرز،

سيسيرُ الجبلُ العالي والسهلُ إِليك

وتُقبِّلُ دكّةُ بيتي قدميك

سيبايعكَ الأمراءُ

ويتبعُكَ الحُكّامُ

ويأتي كلُّ ملوكِ الأرض لديك.

جلجامش: ما أحلى عشتارَ!

كأنكِ بنتٌ تلمحُ مَن تهوى، من نافذةِ الدارِ، لأولِ مرّهْ!

وكأني ولدٌ يلمح مَن يهوى، من نافذةِ الدارِ، لأولِ مرّهْ.

ما أحلى عشتار!

كأنّ على عشّاقِكِ ألفَ ستارْ...

وكأني لا أعرفُ مَن ذا اخترتِ

ومَن لا أختارْ...

فدعيني يا عشتار

دعيني، يا حَجراً من بيتِ عدوٍّ

يا كومةَ قارْ

يا باباً خَلْفيّاً

يا قصراً يقتلُ من يَدخُلُهُ

يا كلساً

يا نعلاً غدّار...

عشتار: عَمَّ تُحَدِّثُ يا جلجامش؟

جلجامش: عمَّ أُحَدِّثُ يا عشتار...

عمَّ أُحَدِّثُ؟

فلأَتركْ عشاقَكِ

ولأُسدلْ دونَهمو ألفَ ستار.

ودعيني أسألْ عن تموزَ...

ألم يدخلْ، غدراً، مملكةَ الموتى؟

عشتار: تموزُ، الآنَ، إِله...

جلجامش: أيُّ إِلهٍ بَوّابٍ يا عشتارْ!

كان هنا

كان على الأرضِ، الراعي

والنايَ، وأغنيةَ السُّمّارْ

كان الواهبَ خُضرتَنا

والطافحَ بالبهجةِ كالأنهارْ

والآنَ؟

الآنَ خلتْ بابلُ إِلا من عشتارٍ

ومعابدِها.

لا تموزَ بها

لا نايَ

ولا أغنيةٌ يتشرَّبُها سُمّارْ.

عشتار (وهي تغادر غاضبة): ما أبشعَ جلجامشْ!

ستَرى يا جلجامش!

سترى...

ـ احتفال الجمع المحتشد يستمر ـ

(نهاية مشهد)

الجوقة: يا سادتي

نختصرُ الآنَ لكم شيئاً من القصةِ

فالوقتُ قصيرٌ دائماً

والسيداتُ اشتقنَ للبيتِ،
فما المسرحُ؟
والوقتُ قصيرٌ:
غضبتْ عشتارُ، يا سادةُ
قالت لأبيها إِن جلجامشَ قد حَقَّرها
في ساحةِ السوقِ بأوروكَ. . .
على جلجامشَ اللعنةُ!
فليرسِلْ إِلى أوروكَ، كي يثأرَ من جلجامشَ
الثورَ السماويَّ. . .
ليقتلْ أهلَ أوروكَ
ويسحقْ رأسَ جلجامشَ بالثورِ السماويّ
الذي ينفثُ ناراً ودخاناً. . .
أخطأتْ عشتارُ، أيضاً هذه المرةَ
فالثورُ السماويُّ الذي أرسلَهُ «آنو» أبوها
يشخبُ الآنَ دماً في ساحةِ السوقِ
ذبيحاً
بين انكيدو وجلجامشَ
والجندِ
وتهليلِ العذارى.
إِنها الجوقةُ يا سادةُ
مجدُ الاختصار!

(غرفة في قصر جلجامش. دكّتان متقابلتان للنوم. انكيدو وجلجامش نائمان).

انكيدو (يستيقظ قلقاً ويوقظ جلجامش):

جلجامش!

جلجامش!

جلجامش: ماذا يا انكيدو؟

أنكيدو: أرهقني ليلٌ قاسٍ

كادت ظُلمتُهُ تدخل عينيَّ لتنطمسا

وكأنّ مرارتَهُ سكنتْ وجهي

أَفَلا تبصرُهُ كيف قسا؟

جلجامش: كم كنتَ بلا أحلامٍ يا انكيدو...

انكيدو: ما زلتُ بلا أحلامٍ

محضُ كوابيسَ...

جلجامش: إذن، ما الأمرُ؟

انكيدو: رأيتُ الآلهةَ العظمى مجتمعينَ

غِضاباً للثورِ المقتول...

قالوا: ليمتْ انكيدو!

جلجامش: وأنا، ما خَبَري؟

أَفَلَمْ نَقْتُلْهُ معاً في الساحة؟

انكيدو: قالوا لن نُهلكَ جلجامش...

جلجامشُ ثلثاهُ إله...

جلجامش: يا لَلآلهةِ الظمأى للدم. .

انكيدو!

كيف نغيِّرُ هذا العالم؟

كيف نحوِّلُ مجرى الدم؟

الجوقة: وانكيدو لم يتركْ دكّتَهُ

انكيدو أدركَ

ـ في لحظاتِ النّزْعِ ـ

الكونَ ولعبتَهُ. . .

لعنَ الصيادَ، وعاهرةَ المعبدْ

لعنَ الخبزَ السائلَ

والخبزَ

وجدرانَ المعبدْ

لعنَ الساحةَ والسوقَ وأوروكَ الأسوارِ

بكى. . .

وتواثبتِ الغزلانُ بعينيهِ

وهَسْهَسَ نبعُ الماءْ. . .

انكيدو لم يتركْ دكّتَهُ. . .

انكيدو ماتَ،

كما ماتَ

وسوف يموتُ

الضعفاءْ. . .

(الغرفة ذاتها. انكيدو مسجّى. جلجامش يبكيه)

جلجامش: أبكيكَ بكاءً مُرّا

يا أنكيدو الطاهر

أبكيك بكاءَ الثكلى.

هذي عُدّةُ حربي

فأسي

قوسي

وسهامي

والخنجرُ يبرق عند حزامي

والدرعُ أمامي

لكنّ عدوّي، يا أنكيدو الطاهر

خالَسَني

واختطفَكْ

يا أنكيدو الطاهر

يا إلفي وأخي الأصغر.

يا قانصَ وحشِ البرّيّه

والنّمِرِ الغادرْ

يا طَلاّع جبال

يا غالبَ خمبابا الساكنِ في غابات الأرز

يا سفّاحَ الثورِ الهادر

يا إِلفي الصِّدِّيقْ

يا خيرَ شقيقْ

أيُّ نعاسٍ سلبَكْ؟

أيُّ ظلامٍ غلبَكْ؟

يا ولدي، وشقيقي

يا أملي، ورحيقي

يا أنكيدو الطاهر

يا حظي العاثر

يا دمعةَ أوروك الأسوار. . .

(وقفة قصيرة جداً)

كيف سيهبطُ ليلٌ

كيف يُطلُّ نهار

وأنا أرقبُ موتَكَ يدركني

وكأني أنتَ

كأني أهبطُ في مملكة الموتى

وخُطاي خُطاك. . .

يا أنكيدو!

لم نسألْ إِذ جئنا

لم نسألْ إِذ ضعنا

والكونُ سؤال. . .

(نهاية المشهد)

(حانة سيدوري على شاطئ البحر. أعنابٌ معرِّشة.
سيدوري تشبه عشتار تماماً)

جلجامش (يدخل. شعره طويل أشعث. ملابسه جلود. وجهه سفعته الشمس. إِنه يشبه أنكيدو والبرّية):

سلاماً، صاحبةَ الحانة.

سيدوري (تنهض لاستقباله):

أهلاً بالقادم من سفرٍ قاسٍ وطويل...

اجلسْ

فأنا لكَ رَوْحٌ

والحانةُ راحْ.

جلجامش (يجلس): ما أجملَ هذي الحانَةَ

ما أحلى الأكوابَ

وما أعذبَ هذا الضَّوءَ

وما أبهى داليةَ الأعناب...

سيدوري (مبتسمة): وأنا؟

جلجامش: كانت كلماتي عنكِ

سيدوري: عجيبٌ...

لم يتبدلْ جلجامش!

جلجامش: كيف تعرَّفتِ عليّ

وأنا أشعثُ، أغبرُ، مسفوعُ الوجهِ

ثيابي الجِلْدُ

وبيتي النأيْ؟

سيدوري: لن تُخْطئكَ امرأةٌ يا جلجامش!

(تقدم له كأساً)

جلجامش (يرتشف قليلاً): لكني أخطأتُ امرأةً...

سيدوري: أيُّ امرأةٍ يا جلجامش؟

جلجامش: تلك المدعوّةُ في الألواح «حياة»...

سيدوري: ما زلتَ عنيداً

لم تتعلمْ حتى من دمعةِ أنكيدو.

جلجامش: أنكيدو علّمني أن أسأل...

سيدوري: عَمَّ؟

جلجامش: عن معنى امرأةٍ تدعى في الألواحِ «حياة»،

وهي الموتُ

الموتُ صريحاً

قذِراً، مغتصِباً

وقبيحا.

سيدوري: آلهةُ الكون أرادت هذا ـ

أن نحيا لنموت

وتبقى آلهةُ الكونِ مخلَّدةً...

جلجامش: هل هذا عدلٌ، يا سيدوري؟

سيدوري: سُنّة هذا الكونِ

قبلناها، أم لم نقبلْ.

جلجامش: لن أقبلْ.

سيدوري: ستحارُ طويلاً، يا جلجامش

ستسيرُ طويلاً

وستلقى الأهوالَ

وتعتبرُ الأحوالَ

ولكنكَ، يا جلجامشُ، سوف تعودُ إلى الحانةِ...

كي تلقاني

فأنا لكَ رَوحٌ، يا جلجامش

والحانةُ راحْ.

كُلْ خبزَكَ يا جلجامش

وافرحْ ليلَ نهارْ

وارقصْ

والعبْ

ليلَ نهارْ

اغسلْ وجهَكَ

واسبحْ في الماءِ

ودلِّلْ طفلَك

ولْتُبهِـج زوجتَكَ الحلوةَ في أحضانِكَ

يا جلجامش...

جلجامش: سيدوري، لا بد من الرحلةِ...

سيدوري: أين؟

جلجامش: إلى أوتو ـ نَبِشْتِمَ، أوتو النائي... جَدِّي

دُلِّيني يا سيدوري.

سيدوري: سأرى،

إِن مَرَّ الملاّحُ بنا. . .

(نهاية المشهد)

(كوخ قصب. أوتو ـ نبتشم شيخٌ طويل طويل نحيف، دقيق الملامح. المكان يُشعِر بالقداسة. حركة موج خفيفة. أصوات طيورٍ مائية).

جلجامش (يدخل مع الملاّح): جئتُ أخيراً، يا جَدّي. .

أوتو ـ نبشتم: كيف وصلتَ إِلينا يا جلجامش؟

جلجامش: أوصلني الملاّحُ

عبرنا في قاربه بحرَ الموتِ. . .

أوتو ـ نبشتم: وأين رأيتَهْ؟

جلجامش: في حانة سيدوري.

أوتو ـ نبشتم: هي أغوتْهُ، إِذن، حتى يأتيَ بكْ!

الملاّح: قلبي حنَّ عليه. . .

أوتو ـ نبشتم: اذهبْ يا جلجامش، واغتسل الآن

وهاكَ رداءً مني، فالبَسْهُ

وعُدْ كي نَطْعَمَ شيئاً

وتحدّثَني. . .

(يخرج جلجامش والملاّح، بينما يظل أوتو ـ نبشتم يفكر في أمر جلجامش)

أيُّ فتىً هذا!

كم كانت رحلتُه مرعبةً هوجاء. . .
خاضَ وُحُولَ الموتى
واجتازَ جبالَ الشمسِ
وأرضَ العقربِ
والغاباتِ المسكونهْ
وبساتينَ الفاكهة الذهبيةِ. . .
أيُّ رياحٍ ألقتْهُ هنا؟
أيُّ هواجسَ أطلقَتِ البَدَنا
من محبِسهِ خلفَ الأسوار؟
(يعود جلجامش مرتدياً ثوباً أبيض فضفاضاً
اجلس يا جلجامش
واطْعَمْ من خبزي (يقدم له رغيفاً).
جلجامش: يا جَدّي
كنتُ أظنّك عملاقاً
مُدَّرِعاً
مندفعاً، كالثورِ الهائجِ
لكنكَ يا جَدّي
أنحفُ مني
وأرقُّ وأجملْ. . .
أوتو ـ نبشتم: ولماذا كنتَ تراني عملاقاً؟
جلجامش: يا جَدّي
إِنك نلتَ خلوداً مثل إِله. . .

أوتو ـ نبشتم: نلتُ خلودي

حين أقرّت آلهةُ الكون جميعاً بخلودي.

جلجامش: بعد الطوفانِ؟

أوتو ـ نبشتم: نعم.

جلجامش: وأنا...

لو حاولتُ خلوداً يا جَدّي؟

أوتو ـ نبشتم: من يجمع آلهةَ الكونِ؟

جلجامش: إِذن، لا فائدةَ، البتّةَ، يا جَدّي؟

أأموتُ كما مات الناسُ

أيأكلُ عينيَّ الدودُ، كأنكيدو

وأنا، ثلثايَ إِلهٌ، يا جَدّي؟

أوتو ـ نبشتم (متأثراً): لم يبقَ سوى دائرةِ الأسرار،

لم يبقَ سوى العشبةِ...

جلجامش: ماذا يا جَدّي؟

أوتو ـ نبشتم: لم يبق سوى العشبةِ في قاع البحرِ...

فإِن ذقتَ العشبةَ عدتَ شباباً

يا جلجامش...

جلجامش: والناسُ بأوروك الأسوار؟

أوتو ـ نبشتم: من ذاقَ العشبةَ عاد شباباً...

جلجامش (متهللاً): ما أرحمَ قلبكَ يا جَدّي!

أوتو ـ نبشتم: ابحثْ عنها في قاعِ البحرِ

هناكَ

وخذْ معكَ الملاّح . .

(يخرج جلجامش والملاّح)

الجوقة : جلجامش !

جلجامش !

عاشقُ أوروك الأسوار

غاصَ إلى قاعِ البحرِ

وجاءَ بتلكَ العشبةِ

لم يأكلْ منها المسكينُ . . .

وقال سأزرعُها في أوروكِ الأسوار

ليأكلَ منها الناسُ جميعاً

وأكونَ أميرَ العشاق . . .

جلجامش !

جلجامش !

جلجامش عند الشاطئِ نامْ . . .

والحيّةُ شمّتْ رائحةَ العشبهْ

أكلتْها وانسلّتْ

جلجامش !

جلجامش !

جلجامش عندَ الشاطئِ قامْ . . .

لم يَجد العشبهْ

يا ويلَ الحيّهْ

يا لَشبابِكَ، يا جِلْدَ الحيّهْ !

جلجامش!

جلجامش!

يا لَدموعِكَ يا جلجامش!

يا عاشقَ أوروكِ الأسوار. . .

(حانة سيدوري على شاطئ البحر. الحانة مزدحمة بالروّاد. سيدوري عند الباب. جلجامش والملاّح يقتربان)

جلجامش (يدخل والملاّح):

سلاماً، صاحبةَ الحانةِ

سيدوري: مَن هذا القادمُ من سفرٍ قاسٍ وطويلٍ؟

آهٍ!

جلجامش!

جلجامش: لكِ أن تبتسمي، ماكرةً، يا سيدوري. . .

سيدوري: قلبي مبتسمٌ يا جلجامش

ها قد عدتَ أخيرا

موفورَ الحكمةِ

حرّاً

وأميرا. . .

اجلسْ يا جلجامش

اجلسْ بين الناسِ

ودعْ للمُرِّ مرارتَهُ. . .

ولنشربْ كأسَ العودةِ

يا جلجامش،

ولتتطامَنْ منكَ الأنفاسْ.

(يجلس جلجامش والملاّح. روّاد الحانة يتحلّقون حول جلجامش وسيدوري والملاّح)

أحد الروّاد: من أي بلادٍ جئتَ؟

جلجامش: أنا آتٍ من أرض الموتِ...

من الآلهةِ النزِقين.

آخر: وإِلينا ترجعُ يا جلجامش...

نحنُ البشرَ الفانين؟

جلجامش: كنتُ أفكّرُ أنّ الموت عدوٌّ شخصيٌّ لي

أنّ حياتي ليست إِلاّ سنواتي.

لكني آمنتُ الآن

بأنّ حياتي والموتَ هما الوجهان

وأنّ حياتي باقيةٌ ما دام الإِنسان

وأنّ العالم لن يفنى

فالوجهان هما الوجهان

يظلاّن، كليلٍ ونهارٍ، يصطرعان.

سيدوري: قلبي مبتسمٌ يا جلجامش

ها قد عدتَ أخيرا

موفورَ الحكمةِ

حراً

وأميرا . . .

جلجامش : فلنشربْ يا سيدوري

ولنشربْ يا حكماءَ الحانهْ . . .

سيدوري : وأنا لكَ رَوحٌ

والحانةُ راحْ

جلجامش : ها هي ذي الشمسُ تطلُّ

وتغسلُ موج البحر وسقفَ الحانِ بقرمزِها

فلْتأتِ الأكواب

ولنفرح يا حكماءَ الحانهْ !

النشيد

مباركةٌ طلعةُ الشمسِ

هذا النباتُ المبارَكُ جُنَّتُنا :

غصنهُ الغضُّ، أزهارُهُ، ولحاءُ الشجرْ

مباركةٌ قطراتُ المطرْ

مباركةٌ ضحكاتُ البشرْ

مباركةٌ دورةُ النهرِ

والنهدِ

وامرأتي

ومباركةٌ لغةُ الطيرِ

في لثغةِ الطفلِ،
تلك الأغاني، وهذا السَّهَرْ
مباركةٌ خُطُواتُ المسافرِ:
أوْباتُهُ والسَّفرْ
مباركةٌ موجةُ البحرِ.
أسماكُنا
مباركةٌ
والخيولُ التي ترتعي عُشُبَ السهبِ،
أسماؤنا
مباركةٌ
السهولُ مباركةٌ
والجبالُ مباركةٌ
والكواكبُ، والموسمُ المنتظَرْ.
(وقفة قصيرة جداً)
مباركةٌ هذهِ الأرضُ
أرضُ البشرْ!

(ستار)

بولس، ٢٧/ ٦/ ١٩٨٨

محاولات

(١٩٩٠)

منظر شتويّ

يغرقُ الفندقُ الساحليّ

وتحتَ كراسيّ شرفتهِ

تحتَ غمغمةِ الطاولهْ

كان يختبىءُ الماءُ، ماءُ المطرْ

إِنَّه البحرُ يلهثُ في مركبِ الريحِ

مرتطماً بزجاجٍ من الملحِ. . .

تحتَ الكراسيّ يختبىءُ الماءُ

تحت الكراسيّ كان غبارٌ من الصيفِ

دبّوسُ شَعرٍ

وقنّينةٌ كان فيها نبيذٌ

وفي مركبِ الريحِ يندفعُ البحرُ

مرتطماً بالزجاجْ.

. . . .

. . . .

كيفَ لي أن ألامسَ هذا الشتاء؟

كيف لي أن أرى الزنبقهْ؟
شرفتي مغلقةْ
وَبِعَيْنيَّ ماءْ. . .

نيقوسيا، ١٧/ ٣/ ١٩٨٨

خريف

بعد حينٍ تتعبُ الأوراقُ من خضرتها
يأتي النعاسْ
حاملاً قهوتَهُ . . .
تندلقُ القهوةُ، والأوراقُ بالقهوةِ تبتلُّ
صباحَ البُنِّ . . .
يا غُصناً خريفيّاً
صباحَ البُنِّ يا كرْماً وآسْ؟

●

قطّةٌ في آخرِ العالمِ
مستأنيةٌ، مقرورةٌ، تدخلُ في كرسيّها ـ الميناءِ
هل تتّسعُ الحدْقةُ
كي تدخلَ شمسٌ أطفأتْها سُحبٌ ثابتةٌ؟
لا جندبَ اليومَ على السروةِ
كي تُرهفَ سمعاً . . .
لا عصافيرَ
وفي كرسيِّها تقتنصُ القطةُ حلماً
وتنامْ

●

هدأت أغنيةُ الشارعِ
والآنَ:
بعيداً
من حقولٍ فظّةٍ
منزوعةِ العشبِ
سيأتينا الغرابْ. . .

نيقوسيا، ١٧/ ١٠/١٩٨٦

مصطفى

ـ ١ ـ

شجرٌ صافٍ، وسماءٌ خضراءْ
وبرائحةٍ من مومباسا يبتلّ الماءْ

وبرائحةٍ من حنّاءِ البحرِ عرفناكِ وسمّيناكِ. مدينتنا!
أيامَ أتيناكِ تعلَّمْنا كيفَ يدورُ الفِطْرُ خبيئاً بين الظل
وبينَ النخلِ،
تعلَّمنا كيفَ نؤذِّنُ في العيدِ
وكيف نُلاعبُ أسماكاً هادئةً
كيف نراوغُ حيّاتِ الماء...
وتعلَّمنا أن نجلسَ أحياناً والغيمَ...
كباراً كنّا؟
وكباراً كانت قطراتُ المطرِ؟
استروحْنا زهرَ النوّامِ
عرفنا كيف تكونُ تويجاتُ الزهرةِ كاللحمِ.
بعيداً في أنهارٍ غامضةِ الأصواتِ نخوضُ.

ومَن أنبتَ هذي العنبةَ عندَ مُسَنّاةِ الجامعِ؟
مكتبةُ المخطوطاتِ الأولى في جيبِ الدشداشةِ.
سافرتُ بعيداً حتى بابِ سليمانَ
أميري في قلعتهِ النهريةِ كان سجينا.
حين تظاهَرْنا ـ طلابَ المحموديةِ ـ
قالوا ستطاردنا الشرطةُ.
دخّنّا في البستانِ المهجورِ سجائرَنا الأولى،
وبكينا من خوفٍ.
رائحةُ الأشَناتِ
السمكُ الميّتُ في القيظِ. . .
قناطرُ تحملُنا
وقناطرُ تركلُنا
وقناطر تغسلنا
شرفاتُ أميراتِ الهندِ بعيدهْ
والبستانُ بعيدٌ
بابُ سليمانَ بعيدٌ
والبيتُ بعيدٌ. . .
والشمسُ التفّتْ بالسعفِ اللدْنِ ونامتْ.
. . . .
. . . .
رِجْلُ المعزى
رِجْلُ المسحاةِ

. . . .

ونسمعُ في العتمة خطوَ السعلاةِ. . .

وفي الدمعِ انطفأتْ نارُ سجائرِنا الأولى.

يا حلو، يا مصطفى

يا قُرّةً للعينْ

نومَ الهنا. . . مصطفى

يا أشهلَ العينينْ

غمِّضْ على خيلنا

والبصرةِ الصوبين

تحميك بعد النبي

والسادةِ الألفين

يحميك يا مهجتي

مختارُ «كوت الزين»

ـ ٢ ـ

وردٌ أزرقُ

وسماءٌ حمراءْ

وبأسنانِ الكوسج يبتلُّ الماءْ

لا بأسَ، سأفتحُ جرحاً في كفّي
لأخبِّئ نجما
ثم أذرَّ دقيقَ الليفِ عليها
وأقولُ سلاماً يا حمّالي سفنِ العالمِ
يا عمّالَ قطاراتٍ لم تمنحني تذكرةً أو ذاكرةً...
في الليلِ نجوبُ درابينَ الصيفِ
ونفتحُ في جدرانِ رطوبتهِ ثقباً نتنفسُ منهُ،
ويا أوحالَ صرائفِنا، يا مطرَ الأمطار
فساتينٌ تزَّيَّنُ بالأطمار
وتكتمُ نجما...
وعباءاتٌ تعتمرُ البصرةَ كوخاً كوخاً
ومناشيرٌ تخفقُ تحتَ سماءٍ حمراء...
وبينَ القرنةِ والفاو:
بساتينُ النخلِ، وأزهارُ الملحِ
سلاماً للطالعِ
للطّلْعِ
لكل امرأةٍ تحملُ في سُرَّتها نجماً قطبيّاً
وتُطوِّفُ بين القرنةِ والفاو...
مدينتَنا!
سبعُ عرائسِ ماءٍ جئن إلينا في ليلٍ شتويٍّ،
قُلنَ لنا: أبصرْنا سربَ كواسجَ يأتي من جهةِ الغربِ،

فأبحرْنا نلقاه. . .
لكنْ بزوارقَ من برديٍّ
من ورقٍ
من سعفٍ هشٍّ
أبحرْنا. . .
لكنّ البلطةَ كانت تحتزُّ زوارقَنا كالماءِ.
الماءُ سماءٌ حمراءُ
دمٌ يتدفقُ مطلولاً بين القرنةِ والفاوِ، وهذا الكوسجُ
يبحثُ عن نجمٍ قطبيٍّ يأكلُهُ.
انفتحتْ بوّاباتُ الغربِ. . .
مدينتَنا!
أيَّ طبولٍ نسمعُ في الليلِ الهامدِ. . .
أيَّ حكاياتٍ يسمعُها حتى النخلُ
فيذوي منكفىءَ الجذعِ،
وأيُّ خريفٍ سيطولُ إلى آخرةِ الدنيا. . .

يا حلو، يا مصطفى
يا زينة الشبّانْ
مرّت غيومُ العدا
مرت على «حمدانْ»
يا حلو، يا مصطفى
هانَ الذي ما هانْ
بعد الندى والندامى
ضعضعوا البنيانْ
يا حلو، يا مصطفى
يا سدرةَ البستانْ
يا ليت سمش الضحى
حنّتْ على الولهانْ

ـ ٣ ـ

تابوتٌ أخضرْ
وسماءٌ بيضاءْ
وبطلْعِ النخلةِ يبتلُّ الماءْ

في الضفة الأخرى: عمّي.
في شاطئنا: كان أبي.
في شط العربِ:
الزورقُ مختبىءٌ بين البرديّ. وحيدٌ.

لم يبقَ من النخلِ سوى أعجازٍ خاويةٍ.
أن سماءً بيضاءَ
سماءً كانت خضراءَ
تمدُّ يديها نحو سماءٍ ثالثةٍ:
«أنا عريانهْ
أنا عريانهْ
ذهبتْ بالنخل مدافعُهم
ذهبتْ بالأهل مدافنُهم
أنا عريانهْ»
والبصرةُ تدخلُ تحت شوارعها
تدخلُ تحتَ الماء أُجاجاً
تدخلُ تحتَ الكتبِ الموصوفةِ
تدخلُ في الروحِ ولا تخرجُ إلا والروحَ . . .
مدينتَنا!
مَن ضيَّعَ عاداتِ النورسِ؟
من جاء بغربانِ الجثثِ الأولى؟
مَنْ جاءكِ بالأكياسِ الرمليةِ يا فيروزَ الشطآن؟
مَن عضَّ سِباخَكِ بالقتلى؟
نهرٌ عبّاسيٌّ يحفرُ مجراه
قروناً هذا النهرُ العبّاسيُّ يتابعُ مجراه
من أسباخِ الزنجِ يتابعُ مجراه
ونحنُ، حلمنا، يوماً، أن نوقفَ بالأيدي مجراه . . .

مدينتَنا!

سنظل ـ وإِن شِبنا ـ أطفالَكِ

نحملُ طلعَكِ في جيبِ الدشداشةِ

نشربُه في حشرجةِ الماء...

مدينتَنا!

ما ضعتِ

وما ضعنا،

لكنْ، ضيَّعَنا الأعداءُ...

يا حلو، يا مصطفى

يا زينةَ البصرهْ

نوم الهنا، مصطفى...

ما أضيقَ الحفرهْ!

نيقوسيا، ١٢/ ٤/ ١٩٨٧

خريف وامتثالات لأبيات يابانيّة

يا لوحدتي
أن جسدي قصبةٌ تطفو
مقطوعة الجذور
وإني لأتبعُ الماء الذي يجذبني(*)

ـ ١ ـ

شهرُ تشرينَ مقْبلٌ يرفعُ الراياتِ بيضاً،
هي السماءُ بلا غيمٍ كجنديّ وحدةٍ فَقدتْ
في الليلِ أخبارَها يحدّقُ في مرآةِ قصديرٍ،
الصباحُ أتى في غفلةٍ: أين تهبطُ الإِصبعُ
الآنَ؟ انتهى اليومُ وهو لم يبتدئْ بعدُ.
اتركي لي ولو بحاشيةِ الأردانِ خيطاً
أشُدّهُ كلما ضعتُ، اتركي لي رمّانةً
في مراعي البقرِ المثقلاتِ بالعشبِ والزبدةِ.
إِني انتظرتُ عِرقاً على صدغي، ولكنه

(*) الشاعرة اليابانية أونونو كوماشي/ من القرن التاسع.

تأبَّى . . . وصدغي الآنَ مستبسطٌ كمرآةِ
قصديرٍ . . مُرِنٌّ. نأتْ عرائسُ أنهارٍ
جنوبيةٍ. وداعاً، إِذن، للغيمِ والدهشةِ
الصغيرةِ والطيرِ. وداعاً لإِصبعي، ووداعاً
لشرارٍ يختضُّ في عتمةِ الأدغالِ ما بينَ إِصبعَيَّ وصدغي.

قمرٌ بهيٌّ للخريف.
كلما سرتُ
تناءتْ أبعدَ فأبعد
سماءٌ مجهولة(*)

ـ ٢ ـ

سعفةٌ في البعيدِ، في المسجدِ التركيّ تهتزُّ.
والجبالُ الرماديةُ موسوقةٌ بأعبائنا. . .
أيّانَ نمضي إِلى الغِلال، ونمضي عن بهاءِ الجبالِ،
نتركهُ للريحِ والنملِ والأرانبِ والثلجِ،
اتركي لي رسالةً في صناديقِ البريدِ التي
تخلَّى ذووها عن مفاتيحها. سأسألُ عنهم
واحداً واحداً، لآخذَها من واحدٍ. ليتهُ
يفيقُ فيهديني صباحي تحيةً وسلاما. . .
أيُّ سعْفٍ يدورُ في المسجدِ التركيّ!

(*) الشاعرة اليابانية كاغونو تشيو/ من القرن الثامن عشر.

يا كوخَنا المندّى كغاسولٍ، كإِسفنجةٍ. . .
ويا نهرَ أسماكٍ شفيفاً. . . يا مَعْبراً غارَ في الطينِ،
اتركي لي رسالةً، خُوصةً في سعفةِ المستحيلِ
والمسجدِ التركيّ. . .
ريحُ الخريفِ.
نافذةٌ من معدنٍ.
هل أرى الشناشيلَ في الماءِ؟
الخريفُ في هذه اللحظةِ يأتي. . .
قُطعانُه البيضُ تأتي.

لم يتبدل شيء
لكنني لم أعد في صباي.
ريح الخريف تهبّ
وأنا قلقة، كشأني من قبل(*)

ـ ٣ ـ

ثم، من أين جئتَ لي؟ نحن كنا في بساتينِ عالمٍ
قد دجا الليلُ بها سندساً وثوبَ مَراثٍ.
أنتَ من أين جئتَ لي؟
إِننا، الاثنين، كنّا. . . ولم نَعُدْ.
هكذا، في غفلةٍ، في فُجاءةٍ. .

(*) الأميرة اليابانية شيكيشي/ من القرن الثاني عشر.

غير أَنَّا لم نَعُدْ.
فالتفتْ حواليكَ، هل تعرفُ وجهاً أو وجهةً؟
أيها المقرورُ برداً، يا أيها الملكُ الحافي. . .
ويا صورتي:
لماذا تنازلتَ، فقيراً، عن سُدَّةِ الغيبِ؟
لماذا هجرتَ سدرتَهُ؟
نحنُ الغيابُ المقدسُ
الرجعةُ الطوبى. . .
ثيابُ الشهيدِ
والسندسُ الأخضرُ. . .
ماذا أردتَ؟
ماذا أردتَ اليومَ، بي، في صباح قبرصَ؟
إِنَّا أخوةٌ ـ مثل ما نقول ـ يمانونَ،
وإِنّا لأهلنا. . .
غير أنّا لم نعد. لم نَعُدْ.
. . . .
. . . .
خريفٌ خفيف.

نيقوسيا، ٢/ ١١/ ١٩٨٧

ثلاثيّة الحاضرة

ـ ١ ـ

مرَّةً في مساءٍ بصنعاءَ
كان فضاءُ البيوت
يشِفُّ.
كأنّ البيوتَ التي يقطرُ النورُ منها
على النبضِ
قد أُشرعتْ لليراعاتِ.
أيَّ البيوتِ سندخلُ؟
في ايِّما دورةٍ من سلالمها سوف نتعبُ؟
في أي زاويةٍ سيكون النعاس
النعاسُ البليل
النعاسُ الطويل؟

منذ ألفينِ نسري لنبلغَ صنعاءَ
طالتْ سِفارٌ وطالتْ ولم يلمسِ الهدبُ صنعاءَ.
نرحلُ في الصيف عنها
ونرحلُ في هَبَواتٍ شتائيةٍ نحوها

والطريقُ إليها غدا طرقاً لا تؤدي إليها
فهل هبطتْ في نقيعِ التهائمِ صنعاءُ؟
كنا نرى نارَها في رؤوسِ الجبالِ
نشمُّ مباخرَها تتوقدُ في عتماتِ القلاعِ
وكنا نقولُ: غداً.
أرهقتنا الرمالُ
وغصَّ المغنّي بأصواتنا
والجبالُ البعيداتُ لمّا تزلْ (منذ كنّا) الجبالَ البعيداتِ
خطّاً مع الأرضِ مشتبكاً والسماءِ.
المراحلُ؟
لم نطوِ مرحلةً بعدُ.
حتى الصخورُ الغريبةُ طولَ الطريقِ انتأتْ بتلاوينها.
كيف نذكرُ؟
لم تكنِ الأرضُ ملساءَ
لكننا لم نلامسْ تضاريسَها
نحن لم نتلامسْ بها.
كيف نذكرها؟
كيف نذكرُ؟
والأرضُ فاتحةُ الضائعين.

ـ ٢ ـ

مرّةً، في صباحٍ بصنعاءَ
كان فضاء البيوت
يضيقُ
كأنّ البيوت التي ثقُلَ الصبحُ فيها
على النبضِ
قد أُشرعتْ للنهاياتِ.
أيَّ البيوت سندخلُ؟
في أيِّما دورةٍ من سلالمها سوف نُقتَلُ
في أي زاوية سيكون القتيل
القتيل النحيل
القتيل الجميل؟

يدخلُ الطِلْحُ والشيحُ صنعاءَ
يدخلُها الدَّومُ والسيسبانُ
حدائقُها لم تَعُدْ كالحدائقِ...
(كانت بساتينَ)
قِيل: الكرومُ ارتعتْها الجداءُ الهزيلةُ.
صنعاءُ!
ها نحن نسري إليكِ ونسري..
كأنّ الخليقةَ تبتدئُ الآنَ.
إني أحبّكِ...

لكنّ بيني وبينكِ كلَّ الدروب التي قد تؤدِّي وقد لا تؤدِّي.
المسايلُ تُنبتُ أزهارَها الحجريةَ
والماءُ ينشفُ في العينِ.
أمْسِ بلغْنا الجبالَ وقد غابت الشمسُ.
قلنا: نخيِّمُ.
لكنّ وجهاً تراءى لنا في اضطرابِ الظلالِ،
وقال لنا:
ليس يبلغُ صنعاءَ من غابَ عنها ولو لحظةً.
قد ينامُ المسافرُ
لكنكم أهلُها القادمون...
إِذن، كيف نفعلُ؟
كانت سماءٌ رماديةٌ
تتباطأُ عن طلعةِ النجمِ.
والليلُ مختبأُ السائرينْ.

ـ ٣ ـ

مرّةً، في ظهيرة صنعاءَ
كان فضاءُ البيوت
يغيمُ
كأنّ البيوت التي رحلَ الضوءُ فيها
عن النبضِ
قد أُشرعتْ للبداياتِ.
أيَّ البيوت سندخلُ؟
في أيِّما دورةٍ من سلالمها سوف نكمنُ؟
في أي زاويةٍ سيكون الصهيل
الصهيلُ ـ الغليلُ
الصهيلُ النبيل؟

وليكنْ!
قد ركزنا الرماحَ يمانيةً حول «باب اليمنْ»
وليكنْ!
قد ركضنا بدارِ السلاحِ نهزُّ البنادقَ
لكننا ما نزالُ بعيدينَ عن فرحةِ الطفلِ بالعيدِ.
كنا نظنُ الوصولَ إلى البابِ وعداً بصنعاءَ
أو موعداً للتوحدِ.
نحن هنا في المدينةِ
لسنا المدينةَ...

من قال: إِن الوصول يؤدِّي؟
ومن قال: إِن الطريق انتهاءُ الطريق؟
لكَ السورُ والبرجُ والساهرون بهِ
ولكَ الشاخصُ المستقيم.
لك الحلُّ والحُلّةُ.
الليلُ والويلُ.
لكنّ صنعاءَ لمّا تزلْ ـ كالجبال ـ البعيدةَ.
فلتغتبطْ!
ولتظل المدينةُ نائيةً في اختلاج الجفون...

صنعاء، ١٢/٦/١٩٨٨

إنه يحيى

راياتُ يحيى، ثوبُكَ المنخوبُ بالطلقات
يحيى في البراري
في قطرةِ الماء التي انسكبت على قدمينِ
وانسربتْ بأفئدةِ الصغارِ
راياتُ يحيى تعبرُ الأنهارَ والطرقَ التي اكتظّتْ
وتدخلُ في مَنازِعِنا، مُضرّجةَ السِرارِ
من بيتِ إبراهيم
من عبد الرحيم
وماءِ رام اللّه تأتينا:
أغزّةُ هاشمٍ في البرقِ،
أم هذي كتائبنا مدججةً تلوح مع الدراري؟

●

راياتُ يحيى، ثوبُكَ المنخوبُ بالطلقاتِ
يحيى في المخيّمِ
يرفعُ الأرضَ التي احتقنتْ
ويدحوها، ويَبْرأُها، ويقذفُها بوجه النار
يحيى يُنبتُ الأحجار

يجعلُ من سواعدِنا مقاليعَ النبوّةِ
من أصابعنا دمَ الثوّار.

●

راياتُ يحيى، ثوبُكَ المنخوبُ بالطلقات
يحيى في الشوارعِ
درعُهُ كوفيّةٌ رقطاءُ
وثْبتُه بُراقٌ أزرَقُ
وسماؤهُ صفراءُ...
يا لفحَ الفتوّةِ،
أيها الجمرُ الذي لا يغتذي إِلا بهذا الجمرِ
يا ولدي:
سلاماً أيها المتقدمُ القدّوسُ
يا ملكاً يسير مخضّبَ الرايات
يا يحيى
سلاماً...
خذْ، كما تهوى، الشوارعَ
خذ بلادَ الله مملكةً
فلسطيناً
وخُذنا...

نيقوسيا، ٢٦/١/١٩٨٨

افتراض

لو أتانا مساءٌ جميلٌ
وقلنا: المساء جميلٌ
فهل يصدُق الهجسُ في ما نقول؟
لو أشارت إِلينا حقولٌ
لنركض عبر الحقول
فمن أين نأتي بأجنحةٍ للحقول؟
لو تراءى النخيل
على خضرةِ الماءِ، وامتدَّ سعفُ النخيل
إِلينا. . .
فهل من يدٍ تتناولُ سعفَ النخيل؟

نيقوسيا، ١٧/ ٣/ ١٩٨٨

قشعريرة

دثِّريني
فما أوجعَ الصخرَ هذا المساء. . .
دثِّريني
لأهذيَ:
إِن النجوم رماديةٌ
والسبيلَ إِليها ضياء.

نيقوسيا، ١٧/ ٣/ ١٩٨٨

فتى أو نص

بعيداً عن الحافلاتِ الكبيرةِ
أسكنتُه
ثم قلتُ له:
فلنسافرْ بعيداً. . .

١٩٨٨/٣/٢٣

دندنة

ربما، قد تكون الشجيراتُ تلكَ، انتهاءَ الشجرْ
ربما. . .
وبما أنّ ما ينتهي ينتهي
مثلَ ماءِ السفرْ
مثلما يمسحُ السجنُ ماءَ الصورْ
فلتقلْ للإِوزِّ المهاجرِ:
لم تُطلِ المكثَ
حتى أردتَ السفرْ.

بلغراد، ٨/ ١/ ١٩٨٩

الصقلبي

لا المتاعُ القليل

لا المتاعبُ

لا الجندبُ المتشبِّثُ بالسرو

لا غيضةُ السلسبيل ـ

فلمن أنتَ؟

لستَ عليها

ولستَ لها

أيها الصقلبيُّ المضلَّلُ

يا زانَ رمحي الظليل!

٨/ ١/ ١٩٨٩

غجر

دائماً، سنفيق على قهوةٍ
طعمُها غيرُ قهوة أمسِ.
وما أمس؟
همسُ خطى اليومِ
أم مطعمٌ حجريّ المصاطبِ
كنا عرفناه في لحظات التأهُّب؟
يا قهوةَ الفجرِ
أيُّ البلادِ، المذاقُ
وأيُّ الجهاتِ، الشميم؟

٨/ ١/ ١٩٨٩

في النهاية

بعد أن دخل النملُ مسكنَهُ
واختفى،
ظلّ عودٌ من القمح بالبابِ.
هل هو مفتاحُهُ
أم هو الغلقُ؟
. . . .
. . . .
. . . .
بعد قليلٍ، سيأتي المطر.

٨/ ١/ ١٩٨٩

الجوهر

بينما كانت الريحُ تدخلُ في دوحةِ الجوزِ
قلتُ لها: هل تبيتين فيها؟
قالت الريحُ: مَن كان مثلي نبيها
باتَ يسري. . .
ولكنَّني، لحظةً، أستريحُ.
قلتُ همساً: ومَن كان مثليَ، يا ريحُ؟
ردَّتْ: عدمتُ الشبيها.

١٩٨٩/١/٨

ذكرى المدينة

الجنودُ يغنّون
جاءوا، هنا، بقطار الضواحِي
وأقاموا معسكرَهم، في دقائقَ. . .
أما قطارُ الضواحي
فهو ينقلُنا منذ شهرٍ وشهرٍ وشهرٍ
بعيداً
وفي عَرباتِ الخرافِ
إِلى ما وراء الضواحي.

٨/ ١/ ١٩٨٩

الصيف

صلبةٌ، كالحصا في الشواطئ.
ناعمةٌ، كالحصا في الشواطئ
حين تلمّستُ خصركِ
كان الحصا يتجانسُ والرملَ،
يهبط والرملَ،
كان فضاءٌ يسيلْ.

١٩٨٩/١/٩

فكرة

العشيقةُ
حين تكون البعيدَ، تحنُّ إِليها
وحين تكونُ لديها
تملُّ. . .
ألهذا هو الكونُ: ضوءٌ وظلٌّ؟

١٩٨٩/١/٩

سهرة

كان ثلجٌ خفيف

كان ثلجٌ خفيفٌ يدور

كان ثلجٌ خفيفٌ يدورُ على عذَباتِ الصنوبرِ

في ساحةِ الحيّ

حتى تكاد الأغاني تدور،

ولكنني في نهايةِ عاميَ هذا

أدورُ وئيداً

وفي حجرتي

أنوءُ بأحجارِ بيتي وحيداً

بدونِ صنوبرةٍ

دونما شمعةٍ

دونما لمعةٍ أو حفيف.

٩/ ١/ ١٩٨٩

الشجيرة

قد توقّفَ هذا المطر

منذ أن طلعَ الفجرُ

لكن تلكَ الشجيرةَ

ـ ألمحُها من وراءِ الزجاجِ ـ

تظلُّ، كأغنيةِ النبعِ ـ تمطرُ. . .

من أين يأتي المطرْ؟

١٩٨٩/١/٩

ضباب مسائيّ على نهر سافا

الأشجارُ اللائي يتعرَّينَ قليلاً فقليلا
تحتَ مساءٍ مبتلٍّ
وسماءٍ غائبةٍ
لُذنَ بهذي الغيمةِ تصعدُ هادئةً
بين الشاطئِ والسفنِ النهريةِ،
. . . .
. . . .
. . . .
والسفنُ النهريةُ تفقدُ في الغفلة أُلفَتَها
أحياناً تبدو مئذنةٌ
أو قمرةُ نوتيٍّ
أو مرساةٌ،
أحياناً تتراءى سعفات. . .
. . . .
. . . .
. . . .

بين الشاطئِ والسعفاتِ يقوم الماءُ
ويصعدُ
يصعدُ
حتى يبلغَ أهدابي
أدخلُ مملكتي
أدخلُ أسواري والأبراجَ الطينَ
وكوخَ العبدِ
وأعبرُ قنطرةَ المسجدِ. . .
أيةُ رائحةٍ!
هل فاح المصحفُ؟

. . . .

. . . .

. . . .

ها هي ذي السفن النهريةُ تفقدُ في الغفلة أُلفتَها
أحياناً تبدو مئذنةٌ،
أحياناً تتراءى سعفات. . .

بلغراد، ٨/ ١١/ ١٩٨٨

حياة

لحظةً . . .

واكتملَ المشهدُ :

بالأمس، دخلتَ البيتَ، في ضاحيةٍ أخرى :

بلغراد الجديدهْ

فلتقلْ : لا بأسَ

هذي الغُرفاتُ الأربعُ

المدخلُ

والشرفةُ

والنهرُ الذي يأتيكَ من بينِ غصونِ الكستناءِ . . .

انتهتِ اللعبةُ؟

لكنكَ تأتي بأصيصِ الزهرِ

والتربةِ

والنبتةِ

والسُّقيا

إِذن . . فلتبتدئْ دورتَكَ المُرّةَ

ولتنتظرِ الزهرةَ

ولتنتظرِ اليومَ الذي تتركُها فيهِ
إِلى ضاحيةٍ أخرى
إِلى بابٍ ـ كأبواب السماواتِ ـ حديد. . .

بلغراد، ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٨

برج

هكذا،

بعد أن قاسمتْنا عواصمُنا سُمَّها

طردتْنا إِلى غيمةٍ.

نحن لم نبتئسْ حينَ عُدنا طريدينَ...

لكننا لم نَعُدْ، كالبروق، خفافاً

لنسكنَ في غيمةٍ...

أيّما غيمةٍ عابرهْ.

في الصباح نجرُّ صناديقَنا في المرافئِ

أو عبرَ أحزمةِ النقلِ تحتَ المطاراتِ...

ـ من أين جئتَ؟

● !

ـ إِلى أين تذهبُ؟

● !

كيف حملتَ صناديقَك المثقلاتِ؟

● !

ـ أتعرفُ أن المحطةَ قد غُيِّرتْ

والقطارَ مضى منذ عشرينَ عاماً؟

● !

. . . .

. . . .

. . . .

ولكنَّني سأجرُّ الصناديق
أحملُها، في المساء، إِلى غرفةٍ
ثم أُدخلُ برجي على غرفةٍ
أيّما غرفةٍ
أيّما غيمةٍ عابرهْ.

بلغراد، ٢/١٠/١٩٨٨

ظهيرة ماطرة في تشرين

لا صيادينَ الآنَ
الأسماكُ محصَّنةٌ بطبيعتها
والشارعُ يقفرُ،
الشارعُ أقفرَ
إلا من خطواتِ مظلتيَ المسكوبةِ تحت المطرِ،
العشبُ قريبٌ
والأشجارُ مُواتيةٌ
والسفنُ النهريةُ (حتى يكتمل المشهدُ) غائمةٌ
والشارعُ (قلتُ لكم) أقفرَ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

فلتقفرْ كلُّ شوارعِ هذا الحيّ
لتقفرْ كلُّ شوارعِنا المطروقةِ
وليقفرْ مصباحُ المطعمِ
واللجنةِ

والمكتبِ

والمرأبِ

ولتقفزْ جمهورياتُ الموزِ

وجمهورياتِ اللوزِ

وجمهورياتِ الرزِّ

ولكني، سأتابعُ، وحدي، خطواتي

تحتَ المطرِ الآتي

وأظلُّ أسيرُ

أسيرُ

أسيرُ

إِلى البلدِ الآتي.

بلغراد، ٢١/١٠/١٩٨٨

أمطار الصباح

ظَلَّ هذا الشجرْ

يتشرّبُ أمطارَ تشرينَ

منذُ الصباحِ الذي جاءَ يستعجلُ النوءَ

هذا الصباحَ،

اليمامةُ غائبةُ الصوتِ. . .

ـ هل غادرتْ؟

والمساكبُ تنسى خطى قططِ الليلِ

كان المطرْ

يتسرَّب بين حبالِ الغسيلْ

يتشرَّبُ صبري القليلْ

ويمضي معي، غائراً في لحاءِ الشجرْ

بلغراد، ٢/ ١٠/ ١٩٨٨

رسائل

سوفَ أبعثُ للوردِ (يحمرُّ في الشرفات البعيدةِ)

كلَّ الرسائلِ.

هل تسألين لماذا؟

ألا تبصرينَ الرمالَ بآنيةِ الزهرِ عندي؟

ألا تبصرينَ السلالَ الهشيمةَ في شرفتي؟

أنتِ أسررتِني:

لم يَعُدْ في التراب بذورْ...

إِذن،

سوف أبعثُ للوردِ في الشرفاتِ البعيدةِ،

كلَّ الرسائلِ

كلَّ المياهِ التي جمعتْها يدان.

٢/١٠/١٩٨٨

رواية ثريا أنطونيوس

للروايةِ أن تنحني
كي تقصَّ لنا قصةَ البيتِ.
للبيتِ أن ينحني
كي تقصَّ (بحدَّي مقّصٍ له نسَبُ الأرمنِ)
الثوبَ.
للثوبِ أن ينحني
كي تمرَّ الأميرهْ
من عَنَبْتا الفقيرهْ
أو بساتينِ يافا
أو القدسِ، حيث القناديلُ والسجنُ
حيثُ الحكايةُ
حيث تضيعُ (ولسنا لها آسفينَ) الروايهْ!

١٩٨٨/١٠/٢

مجاز وسبعة أبواب

غصنانِ وانكسَرا. . .
لأوقدْ شمعتينِ، إِذن، وأدخلْ
أيَّ بابٍ منكِ أطرقُ
أو أقيمُ وليمتي، غَسَقاً، على عتباتِه؟
الأسوارُ شاخصةٌ
وثمَّ كتابةٌ
وكتابُ أسرارٍ من الفخّار،
دولابٌ يدور بمائهِ
واللونُ صحراءُ
(الكتابةُ صالحتْني والكتابةَ. . .)
كيف أدخلُ
أيَّ بابٍ منكِ أطرقُ
أو أقيمُ وليمتي؟
غسقٌ على الأسوارِ
والبرجُ الوحيدُ أسيرُ ليلِ الجندِ
والطرقاتُ خافيةٌ
يكاد الجبسُ وهويموِّهُ الجدرانَ يُمسي النورَ

في عتماتِ هذا التيهِ
يمسي وحدَه النورَ المخالفَ. . .
أين مصباحُ النحاسِ يدورُ فيه النورُ
أخضرَ
ثم أزرقَ
ثم كوناً كالنحاس؟
ألم تكن مُرّاكشُ الحمراءُ في هذا المكانِ؟
ألم تكن في بابها، هذا، الأرائكُ؟
والأراكُ؟
هل اختفتْ عَذَباتهُ في الرملِ؟
في الذهبِ المسافرِ
في الرواحلُ والرواحِ؟
وأين مكتبتي؟
لقد فارقتُها قرنينِ، حقاً
غير أني ما أزال أرى الرفوف مُنَضَّداتٍ
مُذْهباتٍ
جلدُها الغزلانُ، والخطُّ الذي لا يشبهُ الخطّاط
. . . .
. . . .
فلأجلسْ قليلاً عند مَحْنَى السورِ
ولأتذكّر الطرقاتِ. . .
من يدري؟

لعلّي أنتهي وحدي
ومن يدري
لعلّي أعرفُ البابَ التي كانت تؤدي:
إِنها مُرّاكشُ الحمراء.

ـ ١ ـ

للثلجِ أو للرملِ
قُلْ:
للثلجِ أو للشمسِ. . .
ثم تجيء غرناطهْ!
. . . .
. . . .
لكنّ نخلاً بالضواحي، ينقلُ الخطواتِ أبعدَ
نحو أرض اللَّه
نحو تميمةٍ معقودةٍ بالروحِ
كيف أقامَ هذا النخلُ عندكِ
كيف قامَ
وأيُّ تمراتٍ على كِسَرِ الشعيرِ توهّجتْ
مثلَ العقيقِ يمانياً في لحظةِ الإِفطارِ. . .
تأتي النسمةُ الأولى من السعفاتِ
والأخرى تأَرَّجُ بالصنوبرِ
أَيّها النخيلُ المهاجرُ

أيّها الجبلُ البعيدُ
الماءُ يثلجُ راحتيَّ مُمَسَّكاً بالزعترِ البريّ
بالنعناعِ
بالعودِ. . . .
السفينةُ أقلعتْ
ونأتْ بلنسيةُ العجيبةُ. . .
سوف نرجعُ للسهوبِ
وسوف نسري، مثلما كنّا، على طرقِ البريدِ
وسوف تستبقُ القوافلُ مثلَ مسبحةٍ
نخوّضُ في الرمالِ
وفي عظامِ جِمالنا
ستكونُ إِفريقيّةُ المنأى
أو المنفى
تكون على أناملِ من نُحبُّ: الليلَ
والحنّاءَ
والذهبا
تكون الموتَ واللعِبا.
. . . .
. . . .
وها أنذا، الغريبُ، أطوفُ بالأسوارِ
لا النخلُ الذي يذوي يُسامرني

ولا أَرَجُ الصنوبرِ في الثّنِيةِ. . .
ربما ذهبَ الذين أحبُّهم
وبقيتُ. . .
ليستُ السيفَ كي أحيا على ماءِ الفِرَندِ،
أريدُ أن ألقى الذين أحبُّهم
يا أيّها البرجُ الوحيد.

ـ ٢ ـ

البيتُ تثلمه الجداول من ثلاث جهاتهِ
والماءُ يهدأُ
تحت قنطرةٍ من الأعشابِ والقصبِ الخفيفِ
الماءُ يأتي من بعيدٍ
ثمّتَ القُننُ التي ليست تُرى
لكنها بيضاءُ
قالوا: بعدَها الصحراءُ
قالوا: بعدها إِفريقيا السوداءُ
تمبكتو، ومملكةُ الممالكِ
والرجالُ ملثمينَ
. . . .
. . . .
البيتُ تثلمه الجداولُ
كنت أغمسُ كفّيَ اليسرى ببردٍ الماء منتظراً

فترجفُ كفيَ اليمنى
وكنتُ أسرِّحُ الأعشابَ بالقصبِ الخفيفِ
لعلّ أفراسَ النبيِّ، كريمةً، تعدو
لعلّ جرادةُ مخضرةً تبدو
ولعل كنزَ الجنّ بين أصابعي الوعدُ
. . . .
. . . .
هيهات ذاك البيت!
كنّا في الشتاء نلوذُ من ريحِ الجبالِ
بشمسِ باحتهِ الصغيرةِ
بالبرانسِ
بالأغاني والصلاةِ
وأُمِّنا،
هيهات ذاك البيت.
. . . .
. . . .
هل كان خطويَ في سنين الرحلةِ العشرينِ
أبعدَ من معادلةِ المدى؟
هل كان أبعدَ من تخومٍ لم أضَعْها؟
كان أبعدَ من حدودِ العينِ؟
إِن كانت جهاتُ البيتِ، في مرّاكشَ، التاثتْ
فهل معنىً لهذا البيت؟

وإِن كان الطريقُ إِليه ملتبساً، عليَّ أنا
فما جدوى طريق البيت؟

●

يا من بأعلى البرجِ!
يا جندَ المدينةِ!
يا سكارى ساحة الإِعدامِ!
يا سورَ المخازنْ!

ـ ٣ ـ

ـ سأكون خزّافاً. . .
فقال أبي: ستتركنا، إِذنْ.
وأقول: كيفَ؟
يقولُ: من يخلقْ من الصلصالِ أشكالَ الطيورِ يطرْ.
ولكني التففتُ ببرنسي
ومضيتُ نحو السوقِ. . .
دكّانُ ابنِ حفصونٍ يواجهني،
اقتربتُ، متمتماً، أتأمّلُ الفخّارَ
ساءلني ابنُ حفصونٍ:
أجئتَ لتشتري؟
خذ جرّةً
خذ ذلك الإِبريقَ

هذا القِدرَ
خذْ طيراً. . .
وحين تشبُّ تأتيني بأوّلِ درهمٍ من رزقِكَ المكتوبِ
يا ولدي.
أخذتُ الطيرَ
ثم جلستُ، مرتبكاً، أقلِّبهُ. . .
ووشوشَني، ابنُ حفصونٍ:
كأنكَ، يا بُنيّ، تريدُ أجنحةً
تعالَ. . .
وشدّني لَهْفانَ:
سوف تكونُ خزّافاً،
وسوف أنالُ أوّلَ درهمٍ من رزقِكَ المكتوبِ
يا ولدي.
. . . .
. . . .
وها أنذا أعودُ
أجرُّ خلفي كل ما جرَّتْه لي أعواميَ العشرون
عبرَ ممالكِ الدنيا
أعودُ:
خلقتُ آلافَ الطيورِ
برأتُ آلافَ الأباريقِ الرهيفةِ كالنسائمِ
في بلنسيةَ اكتشفتُ معادنَ الألوانِ

في بغدادَ علّمتُ الصغارَ تدرُّجَ النيرانِ
كنتُ أريدُ أجنحةً
وطرتُ. . .
كأنّ اسمي الطائرُ الجوّابُ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
واليومَ، انتهيتُ هنا، إِلى هذا المساء الصعبِ:
أدخلُ
أم أغادرُ مرةً أخرى؟
ولكنّ ابنَ حفصونٍ يطالبني
بأولِ درهمٍ من رزقي المكتوب. . .

ـ ٤ ـ

عمّن سأسألُ إِن دخلتُ؟
وأيةُ امرأةٍ ستهجسُ خطوتي الليليةَ؟
الغسقُ العميمُ
ووحشةُ الطرقاتِ
والعسسُ الذين يراقبونَ النجمَ
من كُوّاتهم بالبرجِ. . .
فلأهدأْ قليلاً
ولأُرِحْ رأسي على حَجرٍ:

تعبتُ من الطوافِ
ومن دروب الليلِ،
عائشةُ
افتحي من قصرِكِ المهجورِ نافذةً
أطلِّي لحظةً
إِني وراءَ السور. . .
عائشةُ البهيّةُ
هل يغيض النور
يخبو، بغتةً، فيذوب في الديجور؟
عائشةُ البهيةُ
كنتُ أحسبُ موعدي وعداً
ولكنّ السنين تمرُّ
والعرباتِ تنأى
والقوافلَ
والنساءَ يلدن أو يولدنَ. . .
هل يجدُ المسافرُ غيرَ ما تهَبُ الوسادةُ
في خبيءِ الليلِ:
وجهَكِ وهو يصغرُ
وهو يكبرُ
وهو يهدأُ
وهو يدفأُ. . . في يديّ،
كأنني لم أنثرِ الشَّعرَ الذي جعَّدتُه قُبَلاً

على كتفيكِ عاريتينِ،

عائشةُ البهيّةُ

يا قرنفلةً

ومسكاً ضائعاً

يا طعمَ ريحاني

ويا ريعانَ أجفاني المغضّنةِ

افتحي من قصركِ المسحورِ نافذةً

أطلِّي لحظةً...

إِني وراءَ السور.

....

....

....

لا همسَ من مُرّاكشَ الحمراءِ

لا تلويحَ

لا لمعانَ نافذةٍ،

بطيئاً سوف يأتي الفجرُ، مغبرّاً

وأبطأَ منه سوف أكونُ في الطرقِ التي ملّتْ سُراي.

ـ ٥ ـ

الآنَ، والليلُ البطيءُ يئنُّ عندَ السورِ

أفتحُ راحتي اليمنى

وأستقري الخطوطَ بها:

أرى خطّين معتنقينِ من طرفٍ
ومنعتقينِ من طرفٍ،
وخطّاً ثالثاً يمضي ليمسكَ، مرهَفاً، سبّابتي.
أتشيرُ حيث يشيرُ؟
أم أني أسيرُ كما يسيرُ؟
لمحتهُ للمرةِ الأولى، ضُحىً، في معملِ الفخّارِ
كنتُ أديرُ إِبريقاً
وراقبتُ انطباعاً ناتئاً في قطعةِ الصلصالِ
قلتُ: جُرِحْتُ...
لكني لمحتُ براحتي الخطَّ العميقَ
يغورُ في سبّابتي...
أتشيرُ حيثُ يشيرُ؟
أم أني أسيرُ كما يسيرُ
إِلى اليسارِ؟
الليلُ كانَ يئنُّ عندَ السورِ
والأحجارُ غائمةٌ
ولم تزلِ البنادقُ في مَدارِ البرجْ...

●

في معملِ الفخّارِ
كان فتىً يسامرني طويلاً
حينَ نأوي في السماءِ إِلى مَهاجِعنا.

ويوماً قال لي ـ ما أجملَ الذكرى ـ:
لماذا نصنعُ الفخّارَ؟
قلتُ له: لنأكلَ. . .
قال لي: هل نأكلُ الفخّارَ؟
قلتُ: بدرهمٍ من رزقنا نبتاعُ خبزاً. . .
قال: هذا سعرُ إِبريقٍ.
أقولُ: نعمْ. . .
ويسألُ: كم نِصابُكَ، يا فتىً، في اليوم؟
قلتُ: أظنّه عشرينَ إِبريقاً أُتمِّمُها،
ويسألُ ضاحكاً: كم خبزةً تكفي ابنَ حفصونٍ؟
أتعرفُ؟
مِن هنا
من جهدِنا
من خبزِنا المسروقِ
تبدأُ دورةُ السرقاتِ
والشركاتِ. . .
تغدو دولةً
وتقيمُ أسواراً وأبراجاً
وجنداً يسهرون على أباريقِ ابنِ حفصونٍ
وسجناً في المدينهْ.

ـ ٦ ـ

في فجرِ يومٍ من جُمادى (ربما الأولى)

وكان البردُ يُقرس وجنتيّ

ولم أكنْ متوضِّئاً بعدُ،

اعترتني رجفةٌ في كفّيَ اليُمنى

وحينَ نظرتُ قالتْ لي الخطوطُ براحتي:

إِيّاكَ أن تبقى هنا، في معملِ الفخّارِ...

أين ترى سأذهبُ؟

والفتى؟

إِن الجميعَ هنا، نيامٌ في مهاجعهم، سواه...

أيكون غادَرَنا الفتى ليلاً؟

تأمّلتُ السماواتِ الرمادَ

(وكان ضوءُ الفجرِ يكشفُها قليلاً)

ثمّتَ الأشجارُ مثقلةٌ بما شهدتْ.

ومن مُرّاكشَ الحمراءِ

لم يفترَّ في الغبشِ الثقيلِ سوى نُخيلاتٍ مبعثرةٍ

بدتْ سعَفاتُها بِيضاً

(أكان الفجرُ أسودَ؟)

كان أسودَ

كان أسودَ

كان...

جاؤوني
وقد أخْفَتْ برانسُهُم خناجرَهم. . .
● تعالَ، تعالَ!
ـ أينَ؟
● تعالَ تعرفْ.
أوثَقوني
ثم ساروا بي على مهلٍ
كأنّ الفجرَ في مُرّاكشَ الحمراءِ نومُ الفجرِ:
أسواقٌ مُغَلَّقةٌ
وساحاتٌ تُبعثرُ عِثْيَرَ الأسواقِ. . .
ساروا بي خفافاً
والبرانسُ مثل أغربةٍ تَلاطمُ في نسيم الفجرِ. . .
ـ أينَ؟
وبغتةً وقفوا
ودقَّ كبيرُهم باباً
عرفتُ الباب.

●

في السجنِ، كان فتايَ مغلولاً
وموثوقاً بجذعِ النخلةِ الوسطى،
وكان يئنُّ. . .
لم أعرفْ له وجهاً من الكدماتِ
قالوا لي: أتعرفهُ؟

صمتٌّ للحظةٍ،
وبكيتُ. . .
ساروا بي خفافاً، مرةً أخرى
وفي زنزانةِ الحسراتِ ألقَوا بي
أنا والليل. . .
لم أدرِ كم أمضيتُ في نومي المهشّمِ. . .
عندما استيقظتُ كانت مقلتاي أليمتينِ
ثقيلتينِ
وكنتُ ممدَّداً، متورِّمَ الأطرافِ
مزرقّاً
وفي شفتيّ كانت فحمتان:
أريدُ ماءً. . .
غير أنّ الصوتَ يخفتُ مثلَ حشرجةٍ
وتُجهشُ فحمتانِ:
أريدُ ماءً. . .
فجأةً، تمتدُّ كفٌّ لي
وتمسحُ قطرةٌ شفتيَّ (في زنزانتي شخصٌ سواي)
عامينِ قد أمضيتُ في زنزانتي، ومعي الفتى
كنا إِذا هجعَ الجنودُ ونامتِ الأقفالُ
نرحلُ نحو دنيا خارجَ الأسوار
كان يقولُ لي:
مرّاكشُ الحمراءُ تُبنى الآن، عاليةً وعاصمةً

فهل نحنُ الحجارةُ؟
نحن نبنيها، ولكن كي تكونَ عظامُنا جبساً على الجدرانِ
نبنيها، لتسكن نسوةُ التّجارِ والغلمانِ
أيُّ مدينةٍ هذي؟
لنرحلْ خارجَ الأسوارْ. . .
لنرحلْ قبل أن تمتدَّ أيديهم إِلينا
قبل أن تبني البنادقُ دولةَ التجّارْ.

ـ ٧ ـ

بعد أن درتُ في الأرضِ عشرينَ عاماً وعامينِ
لم تَدُر الأرضُ. . .
هذي المدائنُ أمشي إِليها
ولم تمشِ يوماً إِليّ،
وكلُّ النجومِ التي كنتُ خبّأتُها بين جلدي وبين القميصِ
اختفتْ في قصورِ الضَّبابِ. . .
ولم تسكن امرأةٌ راحتي مثلَ لؤلؤةٍ رطبةٍ. . .
لم أجدْ شجري في الحجرْ
لم أجدْ حَجري في الشجرْ
والبلادُ التي نازعتْني البلادَ
تُسلسلُ أيّامَها،
والليالي:
مسوّرةٌ

فظّةٌ
مثلَ مرّاكشَ النائيهْ.
هل قلتُ للفتيانِ ما أهذي بهِ:
إنّ المدى وهمٌ
وإن الخمرَ ماءْ؟
هل قلتُ للفتيانِ:
إن على النساءْ
ألاّ يلدنَ سوى الأفاعي؟
هل قلتُ: قد كلّتْ ذراعي
ممّا كتبتُ على الحوائطِ...
أيُّ معنىً للصراعِ
إن كنتُ مقتولاً؟
وما الراياتُ
إن أُخِذَتْ قلاعي؟

●

اتّئدْ يا بُنيّ
اتّئدْ
حين تلقى طريقكَ أطولَ مما ظننتَ الطريقْ
واتّئدْ يا بُنيّ
عند أولِ منعطفٍ يتخطّاك فيه الرفيقْ
اتّئدْ يا بنيّ
ولتكنْ نخلةَ الدارِ

من ذاقَ تمراتِها لن يضيقْ
واتّقدْ يا بنيّ
إِن موعظةَ النجمِ:
من غابَ غُيِّبَ. . .
فَلْتتّقدْ يا بُنيّ!

●

لكأنني أحبو على كِسَرِ الزجاج. . .
أكلما أدركتُ نبعاً جفَّ نبعٌ قبلهُ؟
ما هذه الدنيا التي جئنا نحاولُها. . .
ظننّا الأرضَ تذكرُ مهرجانَ فتوّةٍ
لتكون أرضاً
حرَّةً
يتسامقُ التهليلُ من أشجارِها نحوَ النجومِ
ظننتُ أن الخطوةَ الأولى
تظلُّ ـ كما انتهتْ ـ بيضاءَ. . .
هل تقسو الحقيقةُ دونَ أن تقسو؟
وتلكَ البذرةُ السريّةُ السَّرّاءُ
هل تفنى
لتتركَنا نُساقي الوهمَ؟
. . . .
. . . .

أغمضْ، يا محمدُ، مقلتيك!

●

قلتُ إِنّا بعيدون عن غيضةِ الآسِ
قمصانُنا نَصُلَتْ في الهجيرِ
وشفّتْ برانسُنا
والرياحُ تُذَرِّي جدائلَنا
والشتاءُ الذي جاءَ جرَّحَ أنفاسنا . . .
هل نظلُّ بعيدينَ عن غيضةِ الآسِ
حتى نموتْ؟
قال: يا صاحبي
لا تسلْ عن زمانٍ يفوتْ
لا تسلْ
واحفرِ الآنَ في الأرضِ مثوى
لعلّ النعاسَ الشفيف
لعلّ النعاس
يُبَلِّغُنا غيضةَ الآس
يا صاحبي!

●

كان الفتى في السجن يرسم لي نواصي الخيلِ
يرسمُ، لاهثاً، أعرافَها:
هذي كتائبنا
ستطوي الأرضَ، موسيقى وألويةً

ستهدمُ كلَّ سجنٍ
وهي تصهلُ بالنشيدِ الفذّ طائرةً. . .
وتبلغ «حلمَ آبادٍ»
لترعى زهرةَ الإكسيرِ. . .
قلتُ له: ونحنُ؟
يقول: نتركُها لترعى
ثم نأخذُ غيرَها
ونطيرُ، موسيقى وألويةً
لنبلغَ «حلمَ آبادٍ» جديدةْ
. . . .
هل سوى خفقةِ السرِّ تُفضي إلى السرِّ؟
حاولتُ أن ألمسَ النُّسْغَ
في ما ترقرقَ من ورقِ العشبِ،
حاولتُ في تربةِ السورِ
أن أتقرّى هشاشةَ ما يرفعُ السورَ. . .
من أين أدخلُ مرّاكشَ الآنَ؟
من مطمأَنِّ الأساريرِ
أم من لُهاثِ السريرةِ؟
من لمسةِ الصخرِ
أم همسةِ السرِّ؟
وحدي أنا الطائفُ الفردُ
لي غُصّتي في السؤالِ

ولي بهجتي
ولتطلْ غربتي ما تطول.

●

ـ سأعود خزّافاً. . .
ويلتفتُ الفتى، قلِقاً، إِليّ:
● وكيفَ؟
هل ضاقتْ بك الدنيا
وضاعتْ من يديكَ صنائعٌ سبعٌ؟
أتعرف أن كلَّ الناسِ في مرّاكشَ الحمراءِ
ما عادوا يرونَ غضارةَ الفخّارِ؟
ـ كيفَ؟
● الأغنياء لهم صِحافُ المنزلِ الذهبيةُ القوراءُ
ـ والفقراءُ؟
● آنيةُ الصفيحِ. . .
ـ عجيبةٌ أيّامُنا
لكنني سأعودُ خزّافاً
أعودُ إِلى احتكامِ الطينِ
والنيرانِ
والطيرِ الذي أسماؤه بيديّ،
كم ضيّعتُ! كم ضيّعتُ!
لكني أعود. . .

●

غَسقٌ على الأسوارِ
والبرجُ الوحيدُ أسيرُ ليلِ الجندِ
والطرقاتُ خافيةٌ
يكاد الجبسُ وهو يموِّهُ الجدرانَ يمسي النورَ
في عتماتِ هذا التيهِ
يمسي وحدَهُ النورَ المخالفَ ـ
هذه مرّاكشُ الحمراءُ
إِن غادرتُها عشرينَ عاماً
أو أقمتُ بها
تظلّ عجيبةً: مُرّاكشَ الحمراءَ
لا فقراؤها افتقروا
ولا تُجّارُها اتّجروا
تظلُّ مدينةً في الريحِ
درباً للقوافلِ والجيوشِ
وساحةً للسحرِ والأعشابِ والمترادِفاتِ وفندقاً للصامتين
ونفحةً من غامضِ الذكرى. . .
ولكني ابنُها
سأظلُّ أرسمُها على الفخّارِ
أُطلقُ منتهاها في طيورِ الطينِ
أُسميها: المدينهْ!

قصائد باريس
شجر إيثاكا

(١٩٩٢)

واقعية

وهذا الديكُ من ذهبٍ وشذْرٍ
يطيرُ
على البنايةِ
وهو يمضي إِلى برج الكنيسةِ،
أيُّ نجمٍ
أتى بالديك؟
أيُّ ندىً مصفّى
ترقرقَ في بهاء الريشِ؟
طلْقاً
يطير الديكُ
أبعد من سواري بنايتنا
وأبعدَ من نحاسٍ
على برجِ الكنيسةِ. .
. . . .
. . . .
. . . .
أيُّ ديك!؟

باريس، ٢١/ ١١/ ١٩٩٠

غرفة سعد

أيُّ شيء بباريس يدخل غرفتَهُ:
شجرُ الصينِ
والمسكُ
لوموندُ، والسهرورديّ
والفتياتُ اللواتي يراجع في هاتف الصبح أثوابهنَّ
البساتينُ
والنحلة المستحيلةُ في الفيلم
رائحة السترة الجلدِ
فالنسيا. . .
. . . .
. . . .
أيُّ شيء بباريس يدخل غرفتَهُ:
الجبنةُ المنزليةُ
والليل منطوياً في عباءاتِهِ
والنبيذُ الذي جاء من شمس إِفريقيا
والنحاس الذي يتحلّبُ مستقطراً
والعسلْ. . .

. . . .

. . . .

أي شيء بباريس يدخل غرفتَهُ:

مرةً

تحت سقف القماش

مسحتْ قطّةٌ فروَها بالأغاني

وها هي ذي

بعد عامين

تلتذُّ، ناعمةً في الفراشِ.

●●●

وباريسُ غرفتهُ

هكذا كان يجلس في آخر الليلِ،

باريسُ غرفتهُ

وله أن يرتِّبها

أن يرتِّب أشياءها:

يحمل النهر في كفّهِ

ويرشّ بيوت الضواحي،

مثلاً. . .

أو يُغرّقُ بالخمر دُورَ السلاح.

●●●

أي شيء بباريس يدخل غرفتَه؟

أي شيء تسلل من أسفل البابِ؟

لا شيء. . .
لكن، لماذا رأى نفسه في العراءْ
فجأةً؟
ولماذا ادَّنتْ في يديه السماء؟
لماذا تراءى له الرملُ أزرقَ؟
والنخلُ أزرقَ:
كان الحصا يتلامع في الماء
والنهر يمضي بأسماكه نحوَ أفقٍ عجيبٍ. . .
وفي الأفق غرفته،
كيف سارت به؟
كيف سارت لتغدو تفاحةً؟
كيف صارت فضاء؟

●●●

أي شيء بباريس أشعلَ غرفتَهُ؟

باريس، ٨/ ١٠/ ١٩٨٩

بار الأنتيل

(١)

كيف لم أدخل البهو؟
قد كنتُ، منذ حللتُ المدينة هذي، أدورُ بهِ
وأمرُّ به، دون قصدٍ
كأنيَ في غفلتي لا أراه. . .
ولكن نمنمةً خلف عنقي تُهاجِسُني أنه قد يراني
أكان يرانيَ في رحلة اليومِ
ما بين أسواق بلفيلَ والمطعمِ المغربيّ؟
شهوراً أمرّ بهِ
لا أميل بوجهي إِليه، ولا أتجاهَلُهُ
كنت من طرف العين أشتافُه
ربما، كصديقٍ قديمٍ يداري ارتباكَ يديّ
فيصفح لو لم أصافحهُ. . .
كنا غريبينِ في طرقات المدينة،
كان لنا: أنا والبهوِ
أن نتعارفَ

أو نلتقي مثلما يفعل الغرباءُ ولو لحظةً،
غير أنّا ظللنا بعيدَين،
ألمح من طرف العينِ مصباحَهُ
أتباطأ. . .
ثم أواصل خطوي ما بين أسواقِ بلْفيلَ والمطعمِ المغربيّ. . .
السماءُ ادّنَتْ
والشوارعُ مسقوفة ببطاطينَ مبتلّةٍ
والسبيل إِلى البهو ملتبسٌ كالسبيل

(٢)

أنتِ لم تحتفي بدم الطيرِ
لم تكتبي، فوق صخرٍ، عروقَ النباتِ
ولم تشربي البرقَ. . .
بل لم تقولي لماذا انتهيتِ إلى خيمةٍ من ثياب البنات،
أما كان لي أن أراكِ
كما كنتِ
حافيةً بين أسواقَ بَلفيلَ والمطعمِ المغربيّ؟
أما كان لي أن أراكِ
مرفرفةً في غلائل فضفاضةٍ
ومسرعة في الشوارع؟
عبر أسطُح باريس كانت ديوكُ النحاس
مبرّأةً كالمداخنِ،

لكنك اخترت خيمةَ أمسِ: ثيابَ البناتِ

وريشَ المآذن. . .

من قال إِنيَ حصَّنتُ عينيّ عن قطرةِ الملحِ؟

من قالَ إِنيَ الذي لا يغيِّرُ مفتاحهُ بين يومٍ وآخرَ؟

سوف تدقُّ النواقيسُ

معلنة رُبْع ساعتها في الندى

وتدقُّ النواقيسُ

معلنةً أن باباً فتحناهُ بين الأغاني

تناءى ومرّ مرور الأغاني

تناءى ومرّ مرورا

تناءى ومرّ

تناءى. . .

ولم أدخل البهوَ. . .

. . . .

. . . .

والآنَ، من بعدِ عامٍ، أرى مسرباً

وحبالاً منقّعة، ألمحُ الآن ضوءَ السفينةِ

يهبطُ في مسرب الماء منزلقاً. . .

ثمّت النخلةُ المستدقةُ تثمرُ بدراً يسيلُ

على سعفة. والهواء يسيلُ على الخدِّ.

يدْبَقُ صدرُ القميصِ. . .

أرى مَشرباً

وقلائدَ زنجيّةً

وطاولةَ تترنحُ بين دخان السجائرِ

. . . .

. . . .

لم أدخلِ البارَ

هل أدخل الأغنية؟

صفاقس، ٣/ ٥/ ١٩٩٠

نزل السان ميشيل

ما الذي تفعلُ يونانيةٌ في هذه الساعةِ،
في النُّزْلِ؟
تُداري طفلةً صاخبةً
أو تتركُ المفتاحَ منسياً على الكرسيّ
أو تلتفتُ اللحظةَ فاللحظةَ. . .
لا شيء هنا في مدخل النُّزْلِ:
الكراسي
فقدتْ ألوانَها
والكلبُ لا يعرف إِلا النومَ
والبَحّارُ
ما زال بعيداً في البحار. . .
ما الذي تفعلُ يونانيةٌ في هذه الساعةِ،
في النُّزْلِ؟
. . . .
. . . .
إِذا ما انتصف الليلُ

وأرخى آخرُ العشاق جفنَيه على عاشقةٍ أخرى ـ
مضت كي تغلقَ البابَ عن الشارعِ
والبردِ
وعادت لتغنّي
وحدَها . . .

باريس، ٣٠/ ١١/ ١٩٩٠

حقيقة

الآن، تعبرُ بي روحُ الخريفِ
على ريحٍ
وسبعِ وريقاتٍ
وقنطرةٍ.
كيف انتهيتُ إِليها، والمساءُ على باريس
يهبط مشدوداً بأذرعةٍ على النوافذِ؟
كيف استضرمتْ
ورمَت أثوابَها كي تراني؟
لا الطريق إِلى بوذا طريقي
ولا معنى حِراءَ معي...
خل كنتُ أرقبُ في المقهى
التفاتَتَها
ونصفَ دورةِ كرسيٍّ؟
هل انطلقت من ساحةٍ لم أجدها في الخرائطِ؟
هل جاءت بلا سبب من المحطةِ؟
لكني لمستُ يداً على قميصيَ في المقهى.
لمستُ يداً،

حتى ارتعشتُ
وحتى غامَ في بصري مرأى الزجاجِ. . .
شجيراتُ الهُلامِ
ونسوةٌ يرحلن في أثوابهنَّ
ولونُ مائدةٍ ترنّحَ واستقرّ مُرنّحاً،
لي المنظرُ السرّيُّ
لي ما تتركُ الشفتانِ
لي العظمُ الذي علكتهُ أنيابُ الكلابِ
ولي الخرافةُ:
أن ألامسَ ما تناءى
أنْ يكون اللصُّ جاري
أن تكون سجارتي عيداً.
وأن أرِثَ المياه طليقةً من ألفِ جسرٍ،
لي الأصابعُ
والمنابع في لهاثِ الجذرِ
. . . .
. . . .
. . . .
لي البيتُ العجيب. . .

●●●

والآن، تعبرُ بي روحُ الخريفِ. . .
هل الريحُ التي دخلت عندي

بسبعِ وريقاتٍ
وقنطرةٍ
هي الحقيقةُ؟
لو أنّ المساء مضى، غُفْلاً
كأيّ مساءٍ. . .
أهل أكلمُهُ في وحشة الطُّورِ؟
لو أنّ المساء أتى
محمّلاً بالهدايا
هل سأحفظُهُ في غفلتي؟
. . . .
. . . .
فلتهبّ الريحُ
ولتكن السبعُ الوريقاتُ في جيبي. . .
لأمْشِ على قناطري
ولتَطِشْ مني السهامُ. . .
فمن يدري؟
لعلَّ بها سهماً سيغرقُ في الماءِ الذي أجدُ. . .

باريس، ٥/ ١١/ ١٩٩٠

تفصيل

الغُريفةُ، ملأى مساميرَ

غادرَها الساكنون

وما خلّفوا ليَ إلا المساميرَ

دقّوا مساميرهم في الخشبْ

أولجوها بقلب الحديد

وشقّوا السمنتَ بها حائطاً من حطبْ. . .

ثم لم يتركوا أثراً غير هذي المساميرِ

من أين جاؤوا بها؟

ما الذي فعلوه بها؟

عند رأسي مساميرُ

ملء فراشي مساميرُ

في الحوض، حيث أمرِّغُ بالماء وجهي، مساميرُ

حتى الهواءُ مساميرُ. . .

لا تعجبوا إذ أقول لكم إنني قد مددتُ يدي في جيوبيَ

أبحثُ عن درهمٍ

فوجدتُ المساميرَ

أمشطُ شعري فتسقط عنه المساميرُ

حتى الفتاةُ التي كنتُ أحببتُها أبعدتْها المساميرُ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

إِني امرؤٌ مثلكم:

أستريحُ إِلى غرفةٍ

وفتاةٍ

وأغنيةٍ

فلماذا تكون المساميرُ لي؟

باريس، ٢٢/ ١١/ ١٩٩٠

IDEAL HOTEL

لكِ أن تدخلي في ذراعيّ. . .
أُغلِقَ باب الممر إِلى الغرفة التاسعةْ
والتقى شجرٌ صائفٌ في التقاطعِ. . .
كان هواءٌ يغافلُ لون الستائرِ
والصمت،
أنتِ الحريرُ
وأنت الطريّةُ
قهوة هذا الصباح
وفضةُ هذا الصباح التي طوّقت ملمس العنقِ
تلك التي طوّحتْ بي
أنا والحرير
على شرفات السرير
نهاراً. . .
أحبكِ. . .

بلغراد، ٧/ ٩/ ١٩٨٩

منزلُ كافافي

٨ شارع لبسوس:
هل كانت اسكندريّتُكَ، البحرَ؟
أم أنها الاستدارةُ
حيث يضيق الزّقاق
وينتشر النورُ مثل حلازينَ مسلوقةٍ؟
ربما كانت اسكندريّتُكَ، البابَ
هذا
الذي لا أراه
ربما كانت التمتماتِ التي ارتبكتْ في الشفاه
ولم تنطلقْ. . .
ربما كانت المزهريةَ
أو شرفةَ القصرِ، حيث الإله
كان يخذل أنطونيو. . .
٨ شارع لبسوس:
من أين جاء أغارقةُ الليلِ؟
من أين جاء النبيذ؟
ومن أين هذا الغناء الذي يترنّحُ؟

هذا البوزوكي المهشّمُ؟
هذا الهواء الذي هو هيهات هيهات هيهات
هذا الهواء الذي هو في هوَّةِ الآه، آه؟
٨ شارع لبسوس:
أعتمت الشرفةُ...
الغرفةُ انسحبت عبر مرآة دولابها
والقميصُ يطير إِلى البحرِ
والبحر غاب...
....
....
فإِن كنت أنطونيو فانتظرْ
قد يناديك عبر هشيم المرايا إِله...

تونس، ١٢/٢/١٩٩٠

الزائرة

اللوحاتُ الخمسُ من السيدةِ المتوفّاةِ
أتيتُ بها
أربعُ لوحاتٍ من زاويةٍ متربةٍ في القبوِ
وخامسةٌ من باب العلّيّةِ. . .
هذي اللوحاتُ الخمسُ
أتيتُ بها، أمس، مساءً
نظفتُ الأطر المطليّةَ بالذهب الكابي
وأزحتُ بماءٍ تربةَ كل السنوات
وعلّقتُ الجدران بها،
وجلستُ إلى كأسي:
لم أتقرَّ اللوحات
وألم أقرأ ما يَخفى
لم أجرؤْ أن أتفرّسَ في التكوين طويلاً
أو أن أمضيَ في التلوينِ. . .
جلستُ إلى كأسي
وإلى اللوحات الخمسِ. . .
وقد علّقتُ بها الجدرانْ.

هل تعرف سيدةٌ راحلةٌ
أن اللوحاتِ الخمسَ لديّ الآنْ؟
هل تعرف سيدتي أني أعرفها، لكن لن أستقبلها إِلا الآنْ؟
. . . .
. . . .
. . . .
في منتصف الليلِ
سمعتُ الخطوةَ. . .
مرهفةً
واضحةً
قادرةً
كحريرِ الجورب. . .
. . . .
. . . .
. . . .
تلك الليلةَ، خِفْتُ. . .

باريس، ٨/ ٥/ ١٩٩١

الشرفة

هذه الشرفةُ اللعينةُ في المبنى المُوازي
تكاد تسكن وجهي. . .
هذه الشرفةُ التي قابلتْني منذ شهرٍ
أحارُ فيها
وأدنو من تفاصيلها
ولكنني أرتدُّ عنها، مضنىً، حسيراً
لماذا؟
إِنها الشرفةُ الوحيدةُ في المبنى
التي لا أرى ستائر فيها تصطفيني،
كأنني لا أراها. . .
أيُّ سرٍّ في شرفةٍ تتعرّى هكذا؟
لا فتىً بها.
لا فتاة،
هكذا. . .
ربما تكون هي العيدان للعُشِّ،
أو تكون نقيضَ العشِّ

أو منزلَ المسافرِ
أو مأوى الندامى في آخر الليلِ
أو غار اللصوصِ،
ارتعشتُ
لا أدري . . .
ولكنها أطلّتْ
وظلّت منذ قابلتُها تُخدِّشُ يومي
ومنامي،
ولم يَعُدْ ليَ إِلا شرفةٌ في العراءِ
بيتُ ظلامِ . . .

باريس، ٦/ ٥/ ١٩٩١

جسرُ سُلِي Pont Sully

تحت جسر سُلِي أعبرُ، الفجرَ
كلُّ المياه التي عبرتْ قبل فجري أنا، لم تعُدْ ليَ المياهْ
والحياةُ التي غبرتْ قبل يومي أنا، لن تكون الحياةْ

●●●

تحت جسر سُلِي، يَلْصفُ السّين
قد غادرتْهُ القواربُ من سُلّم السائحين
واكتفى هو بالورق المتساقطِ
بالشجراتِ القليلةِ
والسمكِ المتطامن في القاعِ
بالصيفِ ذكرى
وبالفتياتِ اللواتي تشبّهْنَ بالصيف مرتحلاً
وتشبّثنَ بالصيف:
يلبسنَ أثوابَهُ
ويُدانينَ أعتابَهُ بالحنينْ

●●●

سُلّمي مائةٌ أستريحُ بها في اللُّهاث
ومن بَعدُ لي أربعون ستُبلغُني غرفةً في السماء

سُلّمي درجاتُ الفضاء
والمنازلُ
لي قمرةٌ مثل روّادهِ
لي الأميرةُ
والقصرُ
والقُبلةُ ـ الجمرُ
لي سدرةُ الغافلينْ

•••

تحت جسرِ سُلِي أعبرُ، الليلَ. . .
دجلةُ
دجلةُ
ما أطولَ الليلَ. . .
ما. . . . .

باريس، ١٩/ ١١/ ١٩٩٠

الصباح

تخرجُ البنتُ التي تعملُ في المخزنِ
من غرفتها بالطابق الثاني
تضيء النور في السُّلّمِ
يبدو وجهها مرتبكاً، مرتجفاً، في النورِ. . .
هذه البنتُ تستأني قليلاً
قبل أن يستلم الشارعُ دنياها.
ستمضي البنتُ، كالصبح، إِلى المقهى
تضمُّ القهوةَ الأولى إِلى كنزتها. . .
والبردُ في الشارع
والمقهى الذي تأْلفهُ يدفأ. . .
كي تحلم أن تبقى هنا:
تجلسُ في الركن إِلى طاولةٍ،
تقرأُ،
أو تسمعُ موسيقى،
ومن يدري. . .
لعلَّ الحبَّ يأتي
فجأةً. . .

باريس، ١٨/ ١٢/ ١٩٩٠

الموعدُ

الثلجْ
يسقط حُرّاً وخفيفاً
ويذوب على أحجار الشارعِ
أسودَ. . .
لم تغتسلِ الأحجار بهِ
لم تغتسل المرآةُ بهِ
كان الثلجُ الأبيضُ
أسودَ. . .
لكنَّ المرأةَ في بهجة أمسيةِ الأحدِ
المرأةُ تُسرع في خطواتها
المرأةُ تلتفُّ بمعطفها أكثرَ
ترفعُ خصلةَ شعرٍ عن عينيها
وتسيرُ إِلى موعدها
أسرعَ
تحت الثلجْ.

باريس، ٩/ ١٢/ ١٩٩٠

سقوف باريس

سقوف باريس التي تنبتُ فخّاراً على الرصاص والقرميد
سقوف باريس التي تميد
في دورة الليل،
وفي الفجر تغني الشاطئَ البعيد. . .
سقوف باريس التي تهبط من مداخنٍ بلا دخانٍ
والتي تبحث عن أماكنٍ خارج ما يحتمل المكان
سقوف باريس
النبيذُ المصطفى
والطحلبُ
النحلةُ
والقطةُ. . .
والأجراسُ تهديني جناحاً
. . . .
. . . .
كيف للطائر أن يطير؟

باريس، ١٩/ ١٠/ ١٩٨٩

مهزلة

لستُ نيرودا

لكي أعلنَ أني قادرٌ أن أكتب الليلة هذي

أكثرَ الأشعار حزنا.

مثلاً:

إِني وحيدٌ

(ربما خيّبتُ ما كنتم تريدون)

إِذنْ

فلأقُل:

الليلُ طويلٌ

(هكذا خيبتُكم ثانيةً)

فلأقُل:

البنتُ التي أحببتُها قد سافرتْ أمسِ

(وهذي خيبةٌ ثالثةٌ)

هل قلتُ: إِني رجلٌ أخطو إِلى الستين لكني بلا بيتٍ؟

وهل قلتُ: بلادي لم تعُدْ لي؟

أم تراني قلتُ: إِن الموت في الغربة داري؟

حسناً

لا تضحكوا مني
أما قلتُ بأني لستُ نيرودا
لكي أعلنَ أني قادرٌ أن أكتب الليلة هذي
أكثرَ الأشعار حزناً؟

باريس، ١٢/ ١١/ ١٩٩٠

كآبة

دع لهذه النبتة الخضراء أن تهدأَ
في زاوية الغرفة . . .
أن تحيا، كما شاءت،
فماذا ترتجي منكَ؟
صباحٌ يلصق، اللحظةَ، ألواحَ زجاجٍ معتمٍ
نافذةٌ تنزع عنها جِلدَها.
السقفُ الذي تلمحه في البُعد أضغاثُ رصاصٍ،
ساعةُ البرج التي أعلنتِ الربعَ
انطوتْ في الماء . . .
هل كان على عينيك أن تنتظرا كل الذي يأتي؟
وهل كان على عينيك ألاّ تغمضا؟
لا، لا تقلْ شيئاً
ودع للغيم أن يهبط في كفّكَ
دع للغيم أن يأوي
كما يأوي النعاس . . .

باريس، ٢/١١/١٩٨٩

الإبرة

هذه الضجةُ من أين؟
لقد غلّقتُ أبوابي
ولم أفتح على المفترقِ، الشبّاكَ
والمذياع في زاوية الغرفة ملقى
مثل ما خلّفتُه في الليلة الأولى. . .
ولا قطرةَ في المغسلِ
لا نأمةَ تأتي أسفلَ البابِ
ولا رفّةَ في آنية الزهرِ
ولا قطةَ تدعوني إِلى مخلبها،
والصبحُ لم يأتِ. . .
إِذن:
من أين هذي الضجةُ؟
. . . .
. . . .
. . . .
الليلُ الذي وسّدني الصخرَ، بطيءٌ

مرهفٌ
يدخل أذنيّ على إبرةِ خيّاطٍ . . .
كفى!

باريس، ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩

صباح الجزيرة

أملكُ من باريس هذا المستطيلَ:
(المتر × النصف من المترِ)
أهذا المستطيلُ ـ العجبُ، الدنيا؟
أرى في جامهِ النهرَ
وفي أنجمهِ الظهرَ
وفي مرآته وجهي الذي غامت به الدنيا. . .
أهذا المستطيلُ ـ العجبُ، النافذةُ؟
استيقظتُ:
كان الفجر محمولاً على الغيمِ
وكان الجسرُ مبلولاً
وثَمَّ امرأةٌ واحدةٌ تعبرُ. . .
كان الفجرُ ملتفاً بجسم المعطفِ،
استيقظتُ
لكني تركتُ الفجرَ
والجسرَ
وتلك المرأة العابرةَ،
استيقظتُ كي أفهم هذا المستطيلْ. . .

●●●

وليكنْ!
أملكُ من باريسَ
هذا المترَ × النصفِ،
فهل أملكُ غيرَ المستحيل؟

باريس، ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩

البَرْدُ

في هذه الغرفةِ
حيث السماءْ
هابطةٌ، منذرةٌ بالمطرْ
في هذه الغرفةِ
حيث البياضْ
يرشني من سقفها المنحدرْ
أحسُّ أحياناً ببردِ القبورْ
بمفصلٍ أنَّ
ونَصْلٍ يغورْ

باريس، ٢٢/ ١١/ ١٩٩٠

إدراك

للمرة السابعة، اخترتُ شميمَ البحرِ.
إِني أجهلُ التقويمْ،
لا أقرأُ. . .
أو أنيَ لا أفهمُ ما أقرأُ. . .
مَن يدري، لَعلّي لستُ أدري أن في الجملة معنىً واحداً. . .
رُبّما لم أجد المعنى،
ومن يدري. . .
لعلّ الشرفةَ الخضراء في المنزلِ لا تُشْرِفُ
أو أن ينابيع الدجى لمّا تعُدْ تنبعُ
أو أن التي أحببت لم تغتسلِ الليلةَ بالسّدرِ. . .
ولكنيَ، بين الفجر والصبح، سمعتُ الرجفة الأولى
سمعتُ الماء في الأحجار يغدر موجةً،
والرملَ ينهالُ مع الماءِ
سمعتُ النملَ إذ يدخل في مسكنهِ
والنحلَ إِذ يبْرأُ بين السيسبان النحلَ. . .

ذاك السرَّ بين الأرض والريحِ،
وقد أدركتُ ما يعنيه ذاك السرُّ. . .
هل أدركتُ ما يعني شميمُ البحرْ؟

باريس، ٢٨/ ١٢/ ١٩٨٩

خاطرة

هذه الغابةُ ليستْ لي
أهذا السُّرخسُ الناشبُ في الأشجارِ
لي؟
والورقُ الناشفُ في الشمس الربيعيةِ
هل جئتُ بهِ
كي أفرشَ الأرضَ؟
السماءُ اتصلتْ دون سماواتي،
وذاك البيتُ
في منعطف الدرب الموازي
ليس لي. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أجلسُ في الغابةِ
لي الجذعُ لم يبق منه غير ما ينتأُ
لي العشبُ الذي يسكن هذا الجذعَ
لي شمس الغروب. . .

فونتنبلو ١٣/ ٤/ ١٩٩١

في الضاحية

يوم الأحد، السابع من نيسانَ
وفي ضاحية أخرى
ببلاد أخرى:
تبدو، في البُعد، غيومُ ربيعٍ سودْ
وعمائرُ تنحلُّ أعاليها في الغيمِ
وأشجارٌ لا تعرفها
ودخانٌ أبيضُ. . .
. . . .
. . . .
ما معنى أن تلمس، منذ الآن العنقودْ
والصيفُ بعيدٌ،
والمرأةُ لم تأتِ
وعبر زجاج الشبّاك غيومُ ربيعٍ سودْ؟

باريس، ٧/ ٤/ ١٩٩١

قوس قُزَح

بين باريس، وبوبيني، أتى قوس قُزَحْ
كان في الصيف الذي يُسمى هنا، الصيفَ
وقد كان اسمهُ قوسَ قزح.
قلتُ إِذ أبصرتهُ يدخل في الغرفة من شبّاكها:
ماذا ترى
لو أننا دُرنا، معاً، في الحيِّ، يا قوس قزحْ؟

●●●

ومشينا
كان بعد الظهر، في يوم أحدْ...
لستُ أدري:
لم نجد في الحيِّ طفلاً واحداً
أو امرأةْ
لم نجد حتى الكلاب.
وحدَها، الأشجارُ كانت ترتدي قوسَ قزح
وتُدَنّي الغصنَ
والجذعَ
وتُهديه المرحْ...

●●●

حسناً، يا سيدي
ها نحن، قد جئنا
ودُرنا
وانتظرنا أن نرى
أو أن يرانا الناس. . .
لا بأس
ولكن
كان بعد الظهر، في يوم أحدْ. . .

باريس، ١٧/٦/١٩٩١

مشرب جزائري

لا الأغاني
ولا الفتاةُ التي جاؤوا بها
من أطراف «وجدةَ»
تدري ما الأغاني،
ولا الذين أقاموا
فجأةً
خيمةً
هنا...
كلُّ شيء مدمدمٌ:
قرعةُ الكأسِ
الكراسي
والبابُ
والقطُّ
والأعصابُ...
لن تدخلَ الجزائرُ في الليل مدمّىً
ولن يطيب شرابُ...

باريس، ١٠/ ١٢/ ١٩٩٠

زاوية الجاز

لحظةً بعد منتصف الليلِ
في كل ليلةْ
يبدأُ الجازُ يُشملُ زاوايةَ الجازِ
مثل النبيذ الجديد
نبيذ القرى. . .

●●●

لحظةً بعد منتصف الليلِ
في كل ليلةْ
تهبط امرأةٌ سلّماً معتماً
كي تغنِّي البرازيل
أو شرفات القناديل
أو فتيات القرى. . .

●●●

لحظةً بعد منتصف الليلِ
في كل ليلةْ
يُفتحُ البابُ
تدخلُ بائعة الزّهرْ

تعبى

وتخرج تعبى متوّجةً بالأسى

وأريجِ القرى. . .

●●●

لحظةً، بعد أن تعلن الساعة الثالثةْ

أُطبقُ الهُدْبَ

زاويةُ الجاز نائمةٌ بين عينيّ

أسمعُ نبض يديكِ على ساعدي. . .

أطمئنُّ

وأهجِسُ، في الصمتِ، نبضَ القرى. . .

باريس، ٢١/ ١١/ ١٩٩٠

PAESTUM(*)

الذين أتوا بسفائنهم
كي يقيموا هنا، معبداً لإِله البحارْ
وآخرَ لامرأةِ الجلّنارْ...
الذين أتوا بمعابدهم
كي يقيموا، هنا، مدناً...
الذين أتوا بمدائنهم
كي يقيموا الصلاهْ...
كيف لم يعرفوا أن أرض المياهْ
تظلُّ مكللةً باعتياداتها:
الماءُ يعلو
ويُنبتُ، حتى مراقي الإله، القصبْ؟
كيف لم يعرفوا أن كلَّ النصَب
هو للّحظةِ الباقيةْ
هو للسرِّ، يَبْرقُ في كِسْرة الآنيةْ؟

باريس، ١/٦/١٩٩١

(*) معابد وأطلال إغريقية في جنوبي ساليرنو بإيطاليا.

أوائل صيف إيطالي

كيف تأتي الأغنيةْ؟
بدأتْ :
كان فتىً يركض عند البحرِ،
والبنتُ
تدلّتْ ذهباً مسترسلاً
حتى مضيق الخاصرةْ
ثم فاضتْ مرمراً يلهو
على ظهر الفتى. . .
كان الفتى يحملها كيساً من التفّاحِ
يا حمّالُ:
هل أحسست في صُلْبكَ ماء الأغنيةْ؟

سالرنو، ٢١/ ٥/ ١٩٩١

أوليفيا

كم أسمعُ موسيقى

كم أسمع موسيقى في الليل

كم أسمع في موسيقى الليل

خُطى أوليفيا

عند الباب

عند ممرِّ الغرفةِ

عند البحر المركون إِلى الحائطِ

عند المرآة. . .

وتدخلُ أوليفيا

تدخل في موسيقى الليل

تدخل في المرآة. . .

وأهمسُ:

أوليفيا!

أوليفيا!

أوليفيا!

أهمسُ، حتى يأخذني البحر

وأدخلَ في الموسيقى

أدخلَ في موسيقى الليلِ،

. . . .

. . . .

وتخرجُ أوليفيا. . .

باريس، ٢٥/ ٤/ ١٩٩١

مساء في أواخر نوفمبر

هذه الليلةَ،
فكّرتُ بأني ربما لم أُحسنِ القولَ
فما معنى الذي تمتمتُه في موقف الباص؟
وما معنى الذي لم أجدِ المعنى له حينَ تَلَفتُّ قليلاً عن زجاج الباص،
ما معنى يدي يخذلُها الإيماءُ؟
حقاً... إِنني لم أُحسنِ القولَ،
ولكنكِ، هذي الليلة ـ البُعْدَ، تعودين إِلى عاصمةِ البُعْدِ
إِلى حيث المصابيحُ التي تُطفأُ عصراً
والشبابيكُ التي لم تنفتح يوماً على الشارعِ
ما أقربَ هذا، كلّه مني:
أنا، في غرفتي، في الطابق السابعِ
قد هيأتُ خبزي
ونبيذي
وبقايا جبنةِ الأمسِ
وشبّاكي ـ كما تدرين ـ لا يدخله الضوءُ

ومصباحي صباحي. . .
ليلة أخرى، ولا أدفأُ،
والباصُ الذي ودّعتُه نحو المطار اختارَ أن يمضي بعينيكِ
بتلك اللفتةِ ـ اللحظةِ
بالقرطِ الذي داعبتُه فجراً
وبالخيطِ الذي أمسكُه حتى أرى يوميَ حراً. . .
أنت تدرينَ بما خلّفْتِهِ لي:
بَرْدَ أطرافي
وذكرى حانةٍ غائمة الأصواتِ
والضحكةَ في منتصفِ الليلِ. . .
فماذا أفعلُ الليلةَ؟
هل أمضي إِلى الموقفِ
حيثُ الباصُ يمضي، هادئاً، نحو المطار؟

باريس، ٢٦/ ١١/ ١٩٩٠

امرأة

لا أقول: اليدان طريقي إِليك

لا أقول: اليدان.

أنتِ جوهرةُ العنفوان

ترفعين سماءً إِذا ما تمددتِ

ـ ثمَّت كان البساطُ المخططُ للنسوة البدوياتِ ـ

إِني، إِذن، في الرخام الذي يتفتّحُ

أمضي

وألقي على فسحةٍ، بين غيمٍ وغيمٍ، عصاي

هكذا

سوف تندى يداي

منكِ

حتى أرى، في تهاويل حلمٍ، خُطاي...

●●●

يترك المسكُ أثوابه في زواياكِ

يقطُرُ في عَرَقِ الإِبطِ

أو عَرَقِ العُنْقِ

يقطرُ

يتركني أتقطَّرُ مستحلَباً من نحاس. . .
ولم تضقِ الأرضُ بي
حينما ضقتِ في رعشات الغِراس. . .

●●●

وها نحنُ:
أثوابُنا في الزوايا
وغاباتُنا في العيون. . .

باريس، ٢٨/ ١٠/ ١٩٨٩

اقتسام

لن أسمّي حديقةَ أمسِ
الحديقةْ
بل سأدخلُ عينيكِ مخضرّتين
من ممرِّ اليدين
وأقولُ: ابتدأتُ الخليقةْ

●●●

من يهلِّلُ في معبد الشمسِ؟
عشبٌ ربيعٌ
ودائرةٌ دونما حجرٍ في سكون المياه. . .
أأنتِ التي ارتبكتْ فجأةً
خوف نبضٍ يضيع؟

●●●

لي احتفاءُ الشوارعِ، أشربتُها بندى اللمسِ
لي خطواتي الغافلةْ
ولكِ البحرُ حين تعودينَ
والجسرُ
والإصبعُ الناحلةْ. . .

باريس ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩

مُسافِرة

انتهتْ حمرةُ الغروبِ،

أهذا الضوءُ في الحائطِ الأخيرِ،

من النهرِ؟

ضياءٌ يشتدُّ في الوهَجِ الأقصى

وينهدُّ مثلما سرعةُ الماءِ

لماذا تمضينَ عني صباحَ الليلةِ ـ المجدِ؟

هل نقولُ: وداعاً

بين باصٍ وآخر؟

إِننا نمضي

كما رنّ هاتفٌ في الضواحي.

فلتقولي: أظلُّ»،

فالفستقُ الباقي من الليلةِ الأخيرةِ

لمّا يزلْ،

وهذا الخمرُ الذي قد تركنا فوق أثوابنا الحسيرةِ

لمّا يزلْ،

فماذا؟

ولماذا تأتي المسافةُ؟

لا

لا تتركيني

فالليلُ عندي يقيمُ. . .

باريس، ٢١/ ١١/ ١٩٩٠

الموجة

وردتينِ

أريدُهما فوق غصنهما

وردتينِ،

ترفّانِ لي طليةَ الليلِ

حتى أنامَ

هنيئاً

بذاك الحليب الذي طعمُه اللوز

والموجَةُ العائدةْ. . .

أتلمّسُ بالفم ـ خوفَ الأصابع ـ ما يتمادى شفيفاً

يذوب على شفتي

ثم يقطُرُ بي

مثل نار الينابيع:

لا أملأُ الكفَّ جمراً

ولا أكتفي باليد الباردةْ.

فاتركي وردتيكِ، ترفّان لي

طيلةَ الليلِ،
ولْيَطلُع الصبحُ. . .
هل تهدأُ الموجةُ العائدةْ؟

باريس، ٧/ ٤/ ١٩٩١

هدايا

أين أخطأتُ؟
قلتُ: قميصاً لنومكِ، هيأتُ، أصفر
قلتُ: لكِ القرطُ من ذهبٍ وزُمُرّدَ. . .
قلتُ: خطاكِ الرهيفاتُ في صندلِ الصينِ. . .
أخطأتُ؟
قد تهملين السؤال،
ولكنني سوف أهوى مراياكِ
عبرَ قميصٍ لنومكِ أصفرَ
سوف أرى القرطَ من ذهبٍ وزُمُرّدَ
والقدمين تخفّانِ في خطوة الصين
سوف أرى
وأقولُ:
بلغتِ
وبلّغتِني
في المساء الفُجاءةِ،
ماءَ الذّرى. . .

باريس، ١٠/ ٤/ ١٩٩١

السيارة

سيّارةُ آنّي مونتيني
بجوادين تسير، إِلى ٣ شارع هنري الرابعْ
لكنْ
سيّارةُ آنِّي مونتيني
بجناحينِ
تطيرُ
إِلى غرفتها في الدور السابعْ . .
سيّارةُ آنِّي مونتيني
تحمل خبزاً ونبيذاً
وتطيرُ
إِلى غرفتها في الدور السابعْ .
. . . .
. . . .
. . . .
أحياناً تحلمُ سيّارةُ آنِّي مونتيني
مثل جوادٍ متعَبْ

بالنوم طويلاً

وبعيداً

عن شارع هنري الرابعْ

باريس، ٢٤/ ١١/ ١٩٩٠

أعشاب

يقطع أعشاب حديقته

يوماً في الشهرِ:

أينتظر العشبَ يتابع دورتَهُ

يكبر أو يزهرُ -

أم يقطعه حين تكون الأعناق مواتيةً؟

. . . .

. . . .

. . . .

يوماً في الشهر سيحمل آلتَهُ

ويدحرجها عبر ممرّات الدار

محتمياً بالفجر عن الناس وأطفال الجار

وسيقطع أعشاب حديقتهِ

ويعود إِلى شاي النعناع ومائدة الإفطار

. . . .

. . . .

. . . .

هذا الرجل اللاهث خلف زهور الأعشاب
هل فكّرَ في أي رؤوسٍ قُطعت
في يومٍ واحد
في زنزانته الممتدة بين الصخر ورمل البحر؟

بغداد، ١٩٨٧

مصير

في الصّالة
هذا الفَرعُ المقطوعُ عن الغصنِ
الفرعُ المنقوعُ بكأس الماءِ
مع الأوراق الخمسِ. . .
الصامتُ في غير هواء الشجرةْ
والثابتُ
والنابتُ
والباهتُ. . .
هذا الفرعُ، إِلى كم سيدومْ
منقوعاً في كأس الماءْ
مقطوعاً عن سرّ الشجرةْ
مرتعشاً كلَّ مساءْ
مختلفاً عن كل أثاث الصالةْ؟

باريس، ١٤/ ٦/ ١٩٩١

تنويع

ذهبٌ وحنّاءٌ
وحنّاءٌ على ذهبٍ
وقيلَ: الخيلُ غرّبتِ النواصي نحو أرض الشام
غرّبتِ النواحي نحو أرض الشام
قرّبتِ النواحي نحو أرض الشامِ
حنّاءٌ على ذهبٍ
ولي
ذهبٌ وحنّاءٌ
ولي
ثوبُ الأميرةِ إِذ يشِفُّ
الخيلُ غرّبتِ النواصي نحو أرض الشامِ
حنّاءٌ على ذهبٍ
وماءٌ في الترائبِ...
يا تراب الشامِ
يا أنفاسَ خُطوتِها التي ضيّعتُ...
كم ضيّعتُ!
كم ضيّعتُ!

لكنّ النواصي غرَّبتْ
والخيل تنتهب الليالي نحو أرض الشامِ
حنّاءٌ على ذهبٍ
وحنّاءٌ على ذهبٍ
ولي
أمرُ الأميرةِ في دمشق الشامْ!

باريس، ٩/٦/١٩٩١

اختطاف

لم تكن تلك بلاداً:

كان فيها كلُّ ما يجعلنا صورتَها

نحن، أبناء التراب المستحيلْ. . .

لم تكن تلك بلاداً:

كان فيها كلُّ ما يطمسُ أوراقَ السبيلْ. . .

كيف جاءت مرةً أخرى

وشقّتْ دمَنا كالبرقِ؟

قد كنا نسيناها

وقُلنا لن نرى بُرديّها، حتى ولو في الحلمِ

قد كنا نسيناها

كما ينسى الجنودُ القُبَلَ الأولى

كما ينسى السريرُ الرملَ،

كالموجة تنسى طحلبَ القاعِ. . .

نسيناها

وقلنا لن نراها مرة أخرى،

فمن أدخلَها من فُرجة الشبّاكِ؟

من أدخلَها من أسفلِ البابِ؟
ومن جاء بها في غفلةٍ منّا
لكي تخطفنا
في كفِّها تدمى
وتلقينا على القمة
لحماً للنسور؟

باريس، ٥/ ٥/ ١٩٩١

حالُ الدنيا

عندما تصبح الكلاب
بشراً
يصبح البشر
كالكلاب. . .

باريس، ٨/ ٥/ ١٩٩١

1989

فلاديمير إِليتش
أي مساءٍ هذا؟
أية راياتٍ ترتفع الليلةَ في الساحة؟
أي قياصرةٍ يأتون بأثواب الإِغريق؟
وأي نساءٍ سيُفقن
صباحاً في أجراس كنائس مهجورة؟
فلاديمير إِليتش
هل كنتَ وأنت ترتِّبُ أوراق المنفى
تُبعِدُ للأعوام الخمسة والستين
مُدْيةَ منفانا؟
هل كنت وأنت تنظِّمُ سوفييتَ الله
ترسُمُ للأعوام الخمسة والستين
طاحوناً
وسِناناً
وحصاناً؟

تونس، ٢٤/٧/١٩٩٠

(*) ١٩٨٩، مرور خمسة وستين عاماً على رحيل فلاديمير إِليتش لينين.

الانفجار

وَليكنْ
نغرقُ في الموتِ الذي لمّا نزل فيه
كأنَّ الموتَ ماءُ النُّطفةِ الأولى. . .
سلاماً أيها الموتُ العراقيُّ
لقد علَّمتنا أن نحفرَ السورَ بأيدينا
كما كنّا فعلنا. . .
ولنكنْ بابلَ
والزقّورةَ العظمى
وعشتارَ التي تهبطُ
والثورَ السماويَّ. . .
سلاماً أيها الماء العراقيُّ
سلاماً يا دمَ العصفور في أربيلَ
والبصرةِ
والنجمِ الذي نحفره في الصخر حيثُ الثلجُ. . .
يا أمي التي قامت
سلاماً لكِ

للقامات تعلو

للقيامات نراها وحدنا

وسلاماً أيها البيتُ الذي ضاق بنا

حتى انفجرْ. . .

باريس، ٥/ ٤/ ١٩٩١

سلاح كيمياوي

كان أكرادُ آذار في هدأة المستحيل
الثيابُ ربيعيةٌ
والوجوه ربيعيةٌ
والمغني قتيل
الغيوم التي هبطت خردلاً أسوداً في الرئات
الغيوم التي ربطت عقدة الموت حول الصباح الجميل
الغيوم التي خثّرت دم أطفالنا
والغيوم التي خمّرتْ خبزَ إبليس في حدقات الأصيل
هل تراها ستعبر من غيضة السروِ
حتى تمسَّ النخيل؟
كان أكراد آذار في هدأة المستحيل.

نيقوسيا، ٢٣/ ٣/ ١٩٨٨

شجَرُ إيثاكا

ـ ١ ـ

هكذا، في غسقٍ، باغتَنا آدمُ
والكونُ الذي يسكننا قصرُ زجاجْ. . .
يا فتى اللحظةِ
يا آدمُ
ما اللحظةُ؟
والخمسةُ والعشرون في مفرِقكَ الشوكيّ تاجْ. . .

●●●

لم يكونوا كثيرين. كانوا فصيلاً واحداً
أسلحتُهم مسروقةٌ كساعات الخلايا.
كانوا يجتازون حدوداً.
لا معنى للبلدان، إذاً.
لقد دخل الاضطراب.
ثمَّت إِماراتُ آبارٍ مطويّة.
ثمَّت ممالكُ شائعةٌ
وجمهوريات ملكيّة.

ثمَّت فلسطينيون بلا مملكة ولا جمهورية.
أمواهُ الخلجان تبرّدُ أنابيب الفاقة،
وفي الليل، تشتعل أسماءُ القرى.
نحن فلاّحون في خيامٍ بدوية.
معلّمون ينتعلون أخفافاً.
تجّارُ بضائعَ مصادَرة.
لسنا العميانَ فنسألَكم خبزاً ونبيذاً.
نحن نلفُّ الأرض كما يلفّ الراعي عباءتَه.
لكنن سنحبُّ لكْنتَنا، ومخارجَ الحروف الصحيحة.
لتأتِ القاراتُ إلينا.
لتأتِ أحزابُ العرب.
كانوا يجتازون حدوداً. هذه البلدانُ لا معنى لها.
أسماءُ القرى، وحدها، تشتعل في الليل.
ولسوف نلبسها كالبزّة المموّهة.
سوف نعلِّقُها على أكتافنا، بنادقَ،
ونطلقها مع رصاصاتنا الأولى...
وستكون لنا أسماؤنا:
وائل زعيتر. غسان كنفاني. ماجد أبو شرار.

●●●

يا فتى اللحظةِ
يا كوفيّة الليلِ
أتدري، أننا مذ جئتَنا، لم ندرِ ما نفعلُ؟

أنّا لم نزل يسكننا قصرُ الزجاج الهشّ؟
حتى وحشةُ الذكرى تهاوت
قبلَ أن ينهالَ ما تعلو به الجدرانُ. . .
نحن الإِخوةُ الأنذالُ
يا آدمُ. . .
في خطوتكَ الأولى، أقمنا حفلةَ السجنِ،
دعوناك إِلى مأدُبةِ الذئبِ،
وقد لبيّتَ يا آدمُ
لبّيتَ لكي تعرفَ. . .
ما أبهاكَ يا آدمُ
لبّيتَ لكي تعرفَ؟
كي نعرفَ؟
لكنّا، ونحن الإِخوةُ الأنذالُ، كنا نحتفي بالدمِ
مطلولاً على كوفيّة الليلِ، وكنا نحسِبُ الوردَ
بأعدادِ المُدى نغرسُها في الجسد العذبِ. . .
لقد أسرفتَ، يا آدمُ
فالحفلةُ ظلت حفلةَ السجنِ
ولم تنتفضِ الجوقةُ في مأدبُة الذئبِ
كما قدّرتَ،
والكونُ الذي يسكننا، لمّا يزلْ، قصرَ زجاجْ. . .

ـ ٢ ـ

هكذا، في غبشٍ، داوَرنا آدمُ
والكونُ الذي يسكننا، قصرُ زجاجْ
يا فتى اللحظةِ
يا آدمُ
ما اللحظةُ؟
والخمسةُ والعشرون في مفرقك الشوكيّ تاجْ. . .

●●●

عجينُ المدينة الرياضية يتخمّر في الهواء الحِرِّيف
حيث القنابلُ العنقودية تتناثر مثل مسبحة الشيطان.
وفي شاتيلا تتطاير السقوف
والصور العائلية
وحنفيات المياه الشحيحة.
ومن البحر، إِلى حيّ السلّم، إِلى المتحف كانت الأجساد خطوطَنا
وفي الحمرا أقمنا مهرجان الفقراء في فنادق النجوم الألف.
هذا الهديرُ القادم من خلدة هو صوتنا المكتنز.
المجلسُ الثوري في موقعه.
ومبنى أبو إِياد يقيم متمدداً على الرصيف،
وها نحن أولاء نحفر في الكون. . .
لا قطرةَ ولا مرآة.
بالبزّة المموّهة، إِذاً.

بالسلاح الفرديّ ومدافع الشاطئ
سنظل نحفر في الكون.
أعطنا خبزنا، كفافَنا، أيها السلاح الملتصق باللحم.
أعطنا صرخةَ السلالة.
كان عمّار الفلسطيني يكفهرّ كالنهار المشبع بالانفجارات
كان يعرف أن العدوّ تقدَّمَ عشرين متراً على محور المتحف ـ البربير.
الطلبة الذين سئموا جامعاتهم الباردة في الشمال
كانوا يتوهجون هنا، كأنهم لم يغادروا القواعد يوماً.
لتهدرْ، إِذاً، صرخةُ السلالة...
لتكنْ لنا أسماؤنا: سعد صايل. عزمي الصغير. علي فودة.

●●●

هل لنا، أن نوقدَ الشمعةَ، يا آدمُ
أن نلبسَ، حيناً، ما تلبّسناهُ
أن ننهضَ أطهاراً، كما كنتَ...
صباحٌ باكرٌ يدخلُ في الأشجار والريحِ،
صباحٌ باكرٌ تذكرُه، يا آدمُ:
الليمونُ في خضرتهِ
والخَسُّ في بهرجةِ الكيمياءِ...
صيفٌ للأغاني
للأكورديون
للموجةِ

للماءِ الذي تمزجهُ بالماءِ،
آهٍ لكَ، يا آدمُ. . .
كان الصيف محمولاً على صينيةٍ من فضةٍ زرقاءَ
كان الكونُ طفلاً لاعباً في جنّةٍ
مثلكَ، يا آدمُ. . .
لكنّا، ونحنُ الإِخوةُ الأنذالُ، جئناك بدبّاباتنا،
بالنار في البحرِ
وبالصارخ في الريحِ
وجئناكَ بقنّاصينَ من مملكةٍ أخرى. . .
أردنا، كلنا، أن نقتلَ الصيفَ الذي يلعبُ
والطفلَ الذي يتعبُ. . .
أن نقتل مَهْوَى موجةٍ هابطةٍ
خشية أن تعلو. .
أردنا قتلَ ما تضمره المرأةُ من وحشيةِ الأصلاب والصَّلبِ
أردنا قتلَ ما تحفره كوفيّةُ الليل، على الريحِ
أردنا قتلكَ، المرةَ، والمرةَ، والألفَ. . .
وكم كنا سعيدينَ بما نفعلُ
كم كنا جميلينَ
ولكنّا نرى مفرزة الإعدام قُدَّامكَ أجملْ. . .
آهِ، يا آدمُ. . .
كم كنتَ رهيباً حينما خلّفتَنا، إِخوتَكَ الأنذالَ،
أحجاراً على الشاطئِ

أعجازاً على رملٍ يسيلْ
أيها القاتلُ في ثوب القتيلْ. . .

ـ ٣ ـ

هكذا، في عتمةٍ، غادرَنا آدمُ
والكونُ الذي يسكننا قصرُ زجاجْ
يا فتى اللحظةِ
يا آدمُ
ما اللحظةُ؟
والخمسةُ والعشرون في مفرقك الشوكيّ، تاجْ. . .

● ● ●

نحن، أهل الكوفيّات المشدودة كالخوذ،
لنا تغريدة الرصاص
والأرزّ المنهمر كالدموع.
لنا أغنية المرفأ
حيث يدخل الفتيانُ في أنشودة البطولة.
لنا الطلقات الإِحدى والعشرون وشاحنات الجيش الجديدة.
ومن الملعب البلدي
وساحة أبو شهلا
نمرُّ مثل نهرٍ من الأغاني
«مثل نهرٍ من الأسود».
غدّارةُ الباريتّا مصقولة في الصباح المبكر، ورائقة.

أيُّ ندىً سيتغلغل في نبتة الشرفة؟
أيُّ امرأة ستقول: لا؟
أحبكِ هكذا
في قوّة الغرابة والجدل.
كنا نهرِّبُ أطفالنا مخبّأين بين جسدٍ وجسد.
الكوفيّةُ خوذة
والوجه نبيٌّ
ندخلُ البحر الإِغريقيَّ لندخلَ أرواحنا.
وستكون لنا أسماؤنا:
ليلى خالد، ومحمود درويش،
والخِضر...

●●●

إِنه يصنعُ فُلكاً من ضلوع القولِ
يُعْلي القلْعَ من رائحة الليمونِ
يُدْني مُدناً غيّبها الطاعونُ
والغازون
والأخوةُ
والتاريخُ...
كم يلزمهُ كي يقطعَ البحرَ، ولا بحرَ؟
وكم يلزمه كي يبلغَ الأرض، ولا أرضَ؟
وكم يلزمه من فِتيةٍ كي يفتحَ المعلومَ؟
نورٌ أرجوانيّ على كوفيّةِ الليلِ

وبارودُ رصاصاتٍ. . .
وهذي السترة الخضراءُ،
هذي الرحلةُ العظمى. . .
لمن يذْخُر مسحوقَ الأغاني؟
وبمن يرحلُ؟
لكن. . . هوذا يرحلُ،
والأشرعةُ الأرهفُ من طعم الهواء امتلأت بالريحِ،
والفتيان بين الكوثلِ الغائمِ والقيدومِ
كانوا يحملون العشبَ
والرايات
والأسلحةَ الصغرى. . .
أتمضي، هكذا، يا آدمَ؟
البحر الذي تقطعُه. . . يقطعُنا،
يتركنا، أسرى، عراة، دونما آدمَ. . .
لا نعرفُ ما نفعلُ. . .
قد كنتَ لنا، النّول، الذي لا ينتهي
والليلَ، والصحوةَ، والبرهانَ
كنتَ الغفلةَ ـ المغزى
ومعنى أن يظلَّ الإِخوةُ الأنذالُ أنذالاً. . .
لماذا ترحلُ، الليلةَ، يا آدمُ؟
هل تتركنا أسرى
وقد كنتَ الأسيرْ؟

ـ ٤ ـ

لـــــم يـــــقـــــل آدمُ مـــــا أضـــــمَـــــرهُ
ولـــمَ الـــقـــولُ، وعـــيـــنـــاه الـــضـــمـــيـــر؟
والـــنـــوايـــا كـــلـــمـــا دافـــعَـــهـــا
انـــدفـــعـــتْ كـــالـــعـــشـــب تـــغـــذوه الـــجـــذور
هـــي أرضُ الـــلَّـــه إن ضـــاقـــت بـــه
فـــلـــتـــضـــقْ، ولـــتـــكـــن الـــشـــبـــرَ الأخـــيـــر
فـــهـــي أرضُ الـــلَّـــه قـــد أودَعَـــهـــا
مـــلَـــكـــاً طـــفـــلاً عـــلـــى الـــمـــاء يـــســـيـــر. . .

وهي أرضُ اللَّه، يكفي حجرٌ واحدٌ منها. . .
رأيتُ الخضرَ
كنتُ أسير، والماءُ الذي أعلو به يعلو
وكنتُ أريدُ أن أمضي إِلى الأسوارِ
كنتُ أريدُ باباً واحداً. . . والخضرُ قال: تعالَ، إِنك قد بلغتَ البابَ
فادخلْ جنّتي،
أحجمتُ
قال الخضرُ:
لم تدخلْ؟
صمتُّ.
الخضرُ قال: بُنَيَّ. . .
مَن قطع المسافةَ

مَن أنام الماءَ
مَن جاب الحجارةَ
مَن أقام خيامه بالوادِ
يدخلْ جنّة المأوى.

ـ ٥ ـ

وهنا، في ظُهر إِفريقيّةَ العالي. . .
هنا، تحت نجوم الظّهرِ
يا آدمُ
نسترخي قليلاً
نشربُ الشاي، وماءَ اليانسونِ،
القهوةَ المرّة
أو نعلكُ (كالأوهام) صحنَ الفولِ،
لا بأسَ
بلغْنا عامَنا الخامسَ العشرينَ
والحنكةَ
والحكمةَ. . .
حتى الشجرُ الغائم في مرفأ إِيثاكا بدا في البُعدِ،
فلنجلسْ قليلاً. . .

باريس، ٣١/ ١٢/ ١٩٨٩

جنّةُ المَنْسِيّات

(١٩٩٣)

إلى جان آنّوَيّيه

الرّسالة الضّائعة

ستجيءُ الحمامةْ

وسألمحُ دورتَها من هُنا

سوفَ تَبْدو الخوافي من البُعْدِ

بيضاً

رَماديةً

تَتَواثَبُ في خَفَقاتِ الجناحَيْنِ

إِذْ يَهْبِطانِ

هُنا

وأنا

مِنْ مكاني الذي لا يُرى

سأُقيمُ الصَّلاةَ

السَّلامُ على مَعْشرِ الطَّيْرِ أنَّى تَهادى جَناحْ. . .

رُبّما كنتُ أَهْذي

ولكنْ. . .

ستأْتي الحمامةْ

فأنا الأعْرَفُ، الآنَ، بالأرضِ والرّيحِ

حتّى وإِنْ كنتُ أعْمى، هُنا
غافِلاً
نافِلاً
لا يَراني أَحَدْ. . .
منذُ سَبْعِ سِنين ولا شيءَ يَدْخُل في مَكْمَني
لا أَحدْ. . .
غيرَ ما تُرْسِلُ الرّوحُ،
أو غيرَ ما يَتَناثَرُ مِنّي على كُوَّة البُرجِ
حَبّاً
وماءْ

باريس، ٢٦/ ١٠/ ١٩٩١

الطّريق

منذُ الطَّيرِ الأوّلِ،
منذُ الفَجْرِ،
أسيرُ إِلى وَجْدَةَ ذاتِ الأسوارِ
وعينايَ يَدُ امرأةٍ.

كم مُدُنٍ تَدْعوني، كي أرْحَلَ عنها
ومنازِلَ كي أُطرَدَ منها
ووجوهٍ كي تُنْكِرَني. . .
لكنّي سأَظلُّ أسير.

فلا تَقِفوا في وَجْهي
لا تَقِفوا. . .
لا تَصِفوا للأعْمى الطُّرُقات
ولا عينَ الماءِ
ولا بابَ الخانْ

لا تَصِفوا
وقِفوا صَفَّيْنِ له، حينَ يَمرُّ عليْكُم
مُبْتَعِداً عنكم
مُرْتَفِقاً رُسْغَ امرأةٍ
مُرْتفِعاً في أُفُقٍ لا تَرْسُمُه الأسْوار.

دمشق، ٩/١٢/١٩٩٢

نهايات

أَعْمى،
يَطَّوَّفُ بينَ قُرى اللَّهِ الإِحْدى والعِشرين
وَحيداً
مُكْتَنِزاً بعَماه
يَضْرِبُ في التِّيهِ، وتَسْبِقُهُ في التِّيه عَصاه.
أحْياناً يَتَوَهّمُ أنَّ الأرضَ صَديقَتُهُ
أَنَّى حَلّتْ قَدَماه
فهوَ النّاهلُ والمَنْهَلْ
وهو المتسائِلُ عمّا لا يُسْأَلْ
وهو الأوّلْ
المُنْجَرِدُ الأجْردْ
وهو السَّرْمَدْ...

....

....

....

لكنَّ قُرى اللَّهِ الإحْدى والعِشْرين
ظالمةٌ...

قدْ يُدفَنُ، حيّاً، في بِئْرٍ تُطوى
قد يُخنَقُ في مأْوى
قد تَتَناهَشُهُ بينَ نِساءِ النُّزُلِ الذُّؤْبانْ. . .
وعليهِ الآنْ
أن يُحْكِمَ خُطْوَتَهُ:
يَتَسابَقَ، والأخْطارَ
ليفْتَتِحَ الأخْطَرْ.

دمشق، ٩/١٢/١٩٩٢

نومُ الضُّحى

ألمهديّ(*)
يتمشّى في الشُّرفةِ
مُنزعِجاً من دَبَقِ البَصْرةِ
من بَقِّ البَصْرةِ
كانَ يُحاولُ أن يَسْتَمْتِعَ بالمشْهدِ:
سَعَفِ النَّخْلِ
وموجِ النَّهَرَ... إلخ...
لكنَّ هواءَ البَصْرةِ كان كثيفاً
مُختَنِقَ النّسْمةِ
كان ضبابٌ يَصَّاعَدُ حتّى أَقْصى السَّعَفِ،
نَديفاً أبيضَ
يُخفي النّخْلَ
وموجَ النهرِ
وأكواخَ الزُّنْجِ
وأدنى السُّفُنِ الصّينيّة من شُرفتِه..

(*) هو الخليفة العباسيّ، قاتل بشّار بن برد.

قالَ المهديّ:

«أيُّ صَباحٍ هذا؟»

وارتدّ إِلى غرفَتِهِ بالقَصْرِ

يَسيلُ نُعاساً

وتَذَكَّرَ أنَّ أَذانَ الفَجْرِ

لن يَرْفَعَهُ بشّارٌ

(فَلقدْ أُلْقِيَ في الخرّارة، مَيْتاً مُنْتَفِخاً)

لن يرفَعَهُ أحَدٌ

حتّى يَرتفعَ الفَجْر...

....

....

....

نامَ المَهْديُّ عَميقاً.

دمشق، ٩/ ١٢/ ١٩٩٢

النّور

فوقَ جبالِ عَدَنْ

في القِمّةِ

حيثُ الحَجَرُ البُركانُ يَئِنُّ سَوادا

والبحرُ يَطير رذاذا،

فوقَ جِبال عَدَنْ

مكْشوفاً للرّيحِ وللأَمْواج

مكْشوفاً لخَرائِطَ غارقةٍ منذُ قُرون

مكْشوفاً للجُنْدِ وللأَبْراج

كانَ فنارٌ أعْمى. . .

. . . .

. . . .

. . . .

في الصُّبحِ الباكرِ تدْنو منهُ نِساءٌ أوراسِيّات

يَلْبُطْنَ كثيفاتِ العانات

كشيفاتٍ. . .

يتصارخنَ بأسماءِ رجالٍ غابوا في بهجةِ أسلحةٍ

وخُمورٍ لاذعةٍ
ومياه...

....

....

....

في الليل
يدنو منهُ الموجُ وَئيدا
وتوشوِشُهُ سَرطاناتٌ، وسَلاحِفُ هائِلةٌ
وكواسجُ...

....

....

....

في الليلِ كذلك
يتململُ بحّارٌ في قاعِ البحرِ
ويحملُ فانوساً أوقدهُ منذُ قرون
ويدورُ مع المَرْقى المُتعرّج
حجراً
حجراً
حتّى يبلغَ قِمَّتَهُ
حتى يوقِدَ من سِرِّ الليلِ فَناراً أعمى.

دمشق، ١٠/١٢/١٩٩٢

إبتداء

سوفَ تسأمُ زاويةَ الشّامِ أيضاً
ونَبْتَتَها وهي تذبُلُ خلفَ الزُّجاجْ،
ولسوفَ تُردِّدُ في السّرِّ:
إِنّي أتيتُ لكي أَحْتمي بالزُّجاج. . .
الظّهيرةُ

و

ا

قـ

فـ

ـةٌ

والشُّجيراتُ من طَرَفِ العَيْنِ تَلْمَحُها
وهي تهدأُ في الظِّلِّ
والشّمْسُ تهدأُ في الظِّلِّ
والطِّفلُ يهدأُ في الطِّفلِ
والهاشِمِيَّةُ ضائعةٌ في الطَّريقِ إِلى الشّامِ. . .
. . . .

. . . .

. . . .

هَلْ بَدَأَ الانْتِظار؟

دمشق، ١١/٦/١٩٩٢

مَلْمَس

ألخريف. . .
أيُّ أُرْجوحَةٍ من حِبالِ المَطَر
يتلهّى بها
ناسِجاً
ناشِجاً
في مساءِ الضّواحي
أيُّ أُرْجوزَةٍ في سَماءِ الضّواحي
أتلهَّى بها
باسِطاً راحَتي للمناقيرِ مائيّةً
تَنْتهي بي إِلى غُرفةٍ
تَنْتهي بي إِلى رَفّةٍ من جَناح. . .

هَلْ أُغَلِّقُ نافِذَتي؟
ألرّيحُ تُعْوِلُ بينَ العماراتِ
والبردُ. . .
هَلْ أحْتَمي بالزُّجاجِ المُضاعَفِ؟

هل أَكْتفي بالبُرودَةِ زرقاءَ لِصْقَ جَبيني؟
وهل أُطْبِقُ الهُدْبَ؟
. . . .
. . . .
. . . .
لكنّني أُرْهِفُ السَّمْعَ خلفَ الزُّجاج
أظلُّ، أنا والمَطَرْ
أظلُّ، أنا والخريفْ
أظلُّ، أنا والخَطَرْ. . .

باريس، ١٩٩١/٩/٢٦

القيثارة الحمراء[*] Die rote Harfe

لم يَعُدْ في الشّوارعِ ما تَعْزِفينَ لَهُ:
ألسّاحةُ انْطَفأتْ
والحرائِقُ قد غادرتْ في مياه المجاري
المقاهي مُهذَّبةٌ في الصَّباح
ومُغلقةٌ بعدَ منتصفِ الليلِ
مِثْلَكِ
لَم تَبْقَ إلاّ الملابسُ:
قُطْنٌ
وجِلْدٌ
وأُغنيةٌ لثُقوبِ السَّراويلِ زَرْقاءَ عندَ الرُّكَبْ

. . . .

. . . .

. . . .

سوفَ يأتي المُغنِّي
ويَذْهَبُ.

(*) مقهى في برلين كان متطرفو اليسار يرتادونه.

يأتي الخريف
ويَذْهبُ. . .
لكنْ، سَتبْقَيْنَ بَرميلَ بيرةْ
تظلّينَ في هَدْأَةِ الزّاويةْ
أنتِ
والأمسَ
والرَّمْسَ
والقَدَمَ الحافيةْ.

برلين، ٧/ ٨/ ١٩٩١

ألفجر

لَمَ لا يَطْرقُ، هذي اللَّحظَةَ، من هذا الشُّبّاكِ
المطرُ؟
لَمَ لا يدخلُ من مُنفَرَجِ الشُّبّاكِ
الماء؟
لَمَ لا تَقْتَحِمُ الأنْواءُ ستائِرِيَ المُزْدَوِجَةْ. . .
وقُمامَةَ أوراقي
ووِساداتِ الرّيشِ
ومِصباحَ المِنْضَدة؟
ألفجرُ يُغَمْغِمُ،
ما زالَ هديرُ السّيّاراتِ بعيداً
بعيداً جدّاً
حتّى لأَكادُ أُشَبِّهُهُ بهديرِ الماء. . .

باريس، ٩/ ١٠/ ١٩٩١

نُعومة

ألمطرُ
يَتَلَمّسُ وجهَكَ
هلْ تذكرُ الآنَ تلك الصّديقةَ
تلكَ التي لا تُلامِسُ منكَ سوى الوجهِ؟

إِنّ المطر
يتلمّسُ صدرَكَ تحتَ القَميص
فهلْ تذكُرُ الآنَ تلكَ الصّديقةَ
تلكَ الّتي تكْتَفي بالأصابعِ تحتَ القميصِ؟

ألمطرْ
يَتَغَلْغَلُك الآنَ
كُلَّكَ. . .
هلْ تَذْكُرُ الأُغنيةْ؟

باريس، ١٩/ ١١/ ١٩٩١

تربية

أَبَدَأْتَ، إِذنْ، تشربُ قهوتَكَ الأولى
في أُولى ساعاتِ الفَجر. . .
في السّاعة ٣
مثلاً؟
أَبَدَأْتَ تُخَبِّئ أوراقَك
عن صُحفٍ تعرفُها
وعيونٍ لا تعرفُها
عمّن أحببتَ طويلاً. . .
مثلاً؟
أَبَدَأْتَ تُغيِّرُ عاداتٍ كي تَعتادَ سِواها:
أَلاّ تَحْلِقَ يوميّاً
ألاّ تكْويَ قُمصانَكَ
ألاّ ترفعَ مِسْمَعَةَ الهاتِف حينَ يرِنّ
مثلاً؟
أَبَدَأْتَ تُخالفُ قانونَ السَّير:
تتملَّى كُتباً بالمقْلوب

وتُقَطِّرُ جُرْعَةَ ماري جْوانا في كأسِ الفودكا
وتمشِّطُ شَعْرَ امرأةٍ بالإِبْرة
أو تَدْخُلُ في كَهْفٍ كيْ تفتحَ عينَ التنّين
مثلاً؟
أَبَدَأْتَ؟
إِذنْ . . .
فَلْنَحْتَفِلِ اللَّيلةَ
ولْنَدْعُ جميعَ القِدِّيسين . . .

باريس، ٣/ ١٠/ ١٩٩١

اضطرابٌ عصبيّ

بناتُ آوى كُنَّ عندَ البابِ يَضْحكنَ
وكانَ البابُ مفتوحاً
وكانتْ نخلةٌ بالبابِ
قالَ الرّجلُ الغافي:
بناتِ آوى...
ما الّذي تُرِدْنَهُ منّي؟
صَباحَ الخير!
أما تَعْرِفْن أنّي راحلٌ ليلاً وراءَ البحرِ،
نحوَ المشرقِ الأقْصى
لكيْ أسألَ عن سِرِّ ابْنَتي ليلى الّتي ضاعتْ؟
أما تَعرِفْنَ أنّي قد نزعْتُ البابَ
كي أرْكَبَهُ في البحرِ
نحو المشرقِ الأقصى؟
....
بناتُ آوى كُنّ يضحكْنَ
وكانَ البابُ مفتوحاً...

. . . .

. . . .

وآآآآآ. . .

كانَ قَطيعٌ من ذِئابٍ يُنْشِبُ الأنْيابَ. . .

آآآآآ. . .

باريس، ١٨/ ٩/ ١٩٩١

منطقة محايدة

بُركانُ إِتْنا
يُبْرِقُ، اللّيلَ، على جَناحِ الطّائرةِ
ما أبعدَ دمشق
حينَ الرَّجُلُ ماثلٌ
ومُسَدَّسُه .

لن تَنْتهي الرِّحلة
ولن تَنْتهي حَماقاتُنا .

أيُّ هدير !
أيُّ هديرٍ في ذراعِ الكُرسِيّ !

سأقول . . .
لِمَنْ؟
طالَتِ الرِّحلة
واستطالتِ الحَماقَة .

أَلشَّفَق
أضْغاثُ بنفسجٍ . . .
لماذا، إِذاً
تطلُعُ الشّمس؟

أللّيلةَ
أُريدكِ ذَكيّة
أُريدكِ عارِية . . .

١٩٩٢/٦/١

الزّيارة الطّويلة

أ

ل

شُّ

قُـ

رُّ

ق

تَتَمَطّقُه، ذاهِلةً، أفْعى.

و أ

ل

شَّـ

ر

شـ

ف

يَهْوي، مُنْزَلقاً عن ظَهرِ الأفعى

وسيأتي قمرٌ

ويسيلُ حليبُ نُحاسٍ

يـ يـ يـ يـ

قـ قـ قـ تـ

ط ط ط قـ

ر ر ر طّ

رُ

يقرطُ ظَهر الأفعى

عَرَقاً

ونشيجاً

بين

ا لـ حـ ر شـ فِ

لـ

حـ

ر

شـ

فِ

واللألاء

. . . .

. . . .

ألغرفةُ غائبةٌ

والسُّلَّم منحدرٌ

في سَوراتٍ تعوي

وسُهوبِ نِساء

. . . .

. . . .

. . . .

في الكأسِ مُكعّبُ ثلجٍ
وعلى السّجّادة
حيثُ يُطَبْطِبُ طبّالونَ على أعْجازِ طرائِدِهم
قمرٌ يُلْقي بذراعَيْه على أفعى. . .

تونس، ٢٥/ ٤/ ١٩٩٢

عند قلعة الكرك

دائماً في الغُروب، تبدأُ أسْوارُ القِلاعِ التّنَفُّسَ.
إِنتهتِ الحربُ منذُ قرنَيْنِ أو عِشرينَ قَرْناً،
لكنّها فَجأَةً تعودُ إِذا ما هَبَطَ اللّيلُ، يوقِدُ
الجُندُ في الأبْراجِ قِنديلهمْ، بَعيداً عن
الرّيحِ، ويَبْكونَ وحدَهم. سوفَ يأتي
الرَّسولُ، حتْماً سيأتي، حامِلاً رأسَهُ
على رأسِ رُمحٍ. رُبّما كان مُتْعَباً فَغَفَا
بانْتِظارِ أنْ يورِقَ الرُّمحُ مع الصُّبح.
هَلْ تراهُ سيستيقظُ؟ والجُنْدُ في البُرج،
وقنديلُهم تخافَتَ، والصُّبحُ لم يجِئْ،
والرَّسولُ الذي سيأتي وقد ثبّتَ بالرُّمحِ
رأسَهُ، بعدُ لم يأتِ. إِذن، ما الّذي
سيفعَلُه الجُنْدُ في الصّباح المُنَدّى؟
ما الّذي يَفْعلون؟
توقِفُ أسوارُ القِلاعِ التَّنفُّسَ، والقِنديلُ
فحمٌ في الماءِ والرّيحِ.

ألحروبُ انْتَهتْ

ولكنَّها سوفَ تُنادي جُنودَها دائماً

كلَّ مساءٍ

وسوفَ يأتي الجُنودُ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

دائماً

دائماً

سَيَبْكي الجنودُ

عمان، ٤/ ١٢/ ١٩٩٢

الغرفة دافئة

خيولُ البحرِ والسّراطين
تلتفُّ بالصوفِ الذي لوّنَتْهُ نساءُ الأعشاب
وترقصُ في البحر
أحمرَ
أصفرَ
أزرقَ
بَهاراً.
ألخيولُ والسّراطينُ التي ترقص
تندفعُ أسرعَ، أسرعَ
حتّى كأنّها ثابتَة
والبحرُ الأحمرُ / الأصفرُ / الأزرقُ / البَهار
يفترشُ الأرضَ
تحتَ شمسٍ نُحاسٍ
بينما ترفلُ ضِفافهُ
ببياضِ الزَّبدِ.
. . . .
. . . .

. . . .

أتُحبّينَ أنْ ننام

في السرير الذي تناوبَ عليه المتزوِّجونَ

منذُ ألفٍ وخمسمائةِ سنة

حيثُ صورُ الزَّفاف

تفترشُ الأرضَ مثلَ شواهد؟

. . . .

. . . .

. . . .

إِذن، فلتكنْ لكِ السّجّادة

حيثُ تتبارى الخُيولُ والسّراطين

حيثُ نهدأُ، نحن، في النِّهاية.

عمان، ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٢

لقطة

ليسَ ما يُذهِلُ في هذا الصَّباح:
سَرْوَةُ البيتِ الذي في الجهةِ الأخرى من الشّارعِ
ما زالتْ كما كانتْ،
ولمّا يزلِ البابُ الذي أَغلقهُ المجهولُ مجهولاً كما كان
وما زالَ سياجُ البيتِ مهدوماً كما كان
ولم ينقطعِ الأطفالُ عن خَطْفِ زُهورِ الياسمين.
. . . .
. . . .
. . . .
فجأةً
يَهْبِطُ من سيّارةِ الأُجْرَةِ كلبٌ وامرأةْ
وكما يفعلُ أبهى ساحرٍ تَفْتحُ بالمفْتاحِ بابَ البيت. . .
لم يُسْمَعْ صَريرٌ،
دخلَ الكلبُ، لكيْ تتبعَهُ المرأةُ
وارتابتْ يماماتٌ على السَّرْوةِ
والأطفالُ في منعطفِ الشارع كانوا يرسُمون

طُرُقاً أُخْرى
إِلى أسيجَةٍ أُخْرى
وكانوا يعرفون
جيّداً، أنّهمو لن يَخْطَفوا، بعدُ، زُهورَ الياسمين.

عمان، ٢١/ ١٢/ ١٩٩٢

قد يسقط الثّلج

ألغُرفة
مُحَصّنةٌ بستائرَ من خشبٍ وزُجاج
ومصابيحُ الغُرفة
مُطفأَةٌ
ووسائِدُها هادئةٌ عندَ زواياها
واللّوحات
ـ سماء زرقاءُ ورملٌ أصفر ـ
تستدْعي كُلَّ نواياها. . . تستبْعِدُ ما أُضْمِر
ثَمَّتَ أشجارٌ عَبْرَ النّافذةِ
(ألأشجارُ هُنالك دوْماً)
وهواءٌ يتسلّلُ، كالقِطّة مقروراً، من تحتِ الباب
ليَأْنَسَ بي. . .
لا ريحَ توشوِشُ في الأغْصان
لا طيرَ يُرفرفُ تحتَ سماءٍ بيضاء
لا صوتَ سِوى موسيقى
آتِيَةٍ من أرضٍ أُخرى. . .

لكنّ الثَّلجَ يُلَمْلِمُ سلّتَهُ
وبَعيداً عنّا
في الغفلةِ
أو في هذي اللّيلةِ
سوف يجيءُ الثَّلجْ!

عمان، ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٢

نباتات منزلية

لم يَكُنِ الجيرانيوم
قد أزْهَرَ بعدُ. . .
وأوراقُ المطّاط
تتدفَّأُ في زاويةٍ قُرْبَ المِدفأةِ
ألقزَمُ اليابانيُّ، الفُلفُلُ، مَزْهُوٌّ بحرارتهِ
والنَّبتُ المُتَدَلّي كاد يُلامِسُ أرضَ الغرفةِ
. . . .
. . . .
. . . .
أمّا النّبتُ المُتَسَلِّقُ
هذا المُتَصاعِدُ، ملْهوفاً، حتّى الرفّ
فماذا يفعلُ
والرَّفُّ يظلُّ الرفّ؟
وإلى أين سيَمْضي
حتّى لو بلغَ السّقفْ؟

عمان، ٢٢/ ١٢/ ١٩٩٢

ضباب

فَجأةً
تجلِسُ عَمّانُ على البحرِ. . .
مِهادٌ أبيض طافَ بها، ليلاً
وسمّاها جزيرةْ
وأتى يمنَحُها بعضَ هداياه:
مصابيحَ السُّفنْ
ورَذاذَ البحرِ
والهَدْأَةَ في مُنتصفِ اللّيلِ
وَمَمْشى الصّخرِ والعُشّاقِ. . .
عَمّانُ التي تلبِسُ قُفّازاتِها، ليلَ نهارَ
ارْتَعَشَتْ
تخلعُها، كي تلبِسَ البحرَ
وتمضي، هي والبحرُ، وأَضواءُ السُّفُنْ. . .

عمان، ٢٢/١٢/١٩٩٢

بَلل

سَعَفاتُ جَوْزِ الهِنْدِ تُمْطِرُ. . .
يا قُرنفلةً تأخّرَ نومُها هذا الشِّتاءَ
لكِ اللآلئُ وهي تصْفو فيكِ من سَعَفاتِ جوزِ الهِندِ
والعُشبُ الّذي يخضَرُّ حولَكِ
وابْتِسامةٌ من رآكِ، فَريدةً، هذا الصّباحَ
أَلَسْتِ طالِعَةً، مُبَلَّلَةً
كأَنَّكِ صَبْوَةٌ وصَبِيّةٌ
وكأَنَّما الدُّنيا قرنفلةٌ
وماء.

عمان، ١٩٩٢/١٢/٢٣

مُتابعة

بعدَ يومْينِ من مَرضٍ كُنتُ قاسمتهُ سِرَّها والسّريرَ
أعودُ إِلى هَضَباتِ التّأمّلِ :
كم مَرّةً، عَبْرَ هذا الحديدِ المُطَرَّقِ، أبصرتُ ما يفعلُ الغيمُ؟
كم مرّةً صادفتْ مُقْلَتايَ الشَّجر؟
وكم مرّةً كنتُ وَحْدي؟
. . . .
. . . .
. . . .
ألمدينةُ، في البُعدِ، مَنثورةٌ في رُؤوس الجِبال
والمنازِلُ مَقرورةٌ خلفَ أحْجارها
رُبَّما هدأَتْ تحتَ أشجارِها ومقابِرِها، القُبَّرات
غيرَ أنّ النباتَ الذي يتضوَّرُ في الثَّلجِ
يَكْتُمُ أسْرارَهُ
كي تَمُرَّ اللّيالي
كي يَمُرَّ القَذى والتَّأمُّلْ
كي يُعَلِّمَنا

وبكُلِّ فجاجَتِهِ
أو فَجاجَتِنا
كيفَ يُطْلِعُ أزْهارَهُ.

عمان، ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٢

اللّيل

مُسرعاً يَهْبِطُ
حتّى قبلَ أن نُنْصِتَ عَنْ بُعدٍ لَهُ
أو ترْتجي عَتْمَتَهُ عينٌ. . .
هو البَغْتَةُ
لكنْ، دونَ أن يرتعشَ الصَّخرُ أو الشارعُ
أو تهجُسَ شيئاً ما وُجوهُ السّائرينْ.
مُسرعاً يهبطُ
حتى ناسياً ما يَفْرُقُ الليلَ عَنِ الصُّبحِ
ولكنّ البُيوت
وحدَها، تمنحُهُ، من نورِها، الضِّدَّ
الذي يجعلهُ ليلاً. . .
لِتَلْتَمَّ البُيوت
في لآليها
وتحيا، إِذْ يَموت. . .

عمان، ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٢

مزهريّة

في قلبِ زُجاجٍ رومانيٍّ أزرقْ
حيثُ الماء
يهدأُ في الأزرقْ
تمتدُّ جذورُ النّبتةِ
مُرهَفَةً
صافيةَ الأزرقْ. . .
أمّا الأوراقُ الخضراء
أمّا الدُّكْنَةُ كُلَّ مساء
فبأيِّ زُجاجٍ نَبَتَتْ
وبأيّ مياه؟
. . . .
. . . .
ولماذا لم نَنْتَظِرِ الأصْفرْ؟

عمان، ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٢

ثَمَل

هذا الكُرّسيُّ، تزحزحَ عن موضعهِ أمسِ

وهو الآنَ

تماماً

في وسط السّجّادةِ.

سِلْكُ الهاتِفِ

كيفَ أتى حتى جاورَني؟

لم أسمعْ، منذُ ليالٍ، صوتَ الجيرانِ. . .

وهذا المصباحُ، ضئيلُ النورِ

لماذا جئتُ بهِ؟

واللّوحةُ:

نسوةُ موดلياني يَضْحَكْنَ عليّ!

وأنا لم أُكْمِلْ كأسي الثّالث

حقّاً

لم أُكمل كأسي الثّالث. . .

لن أسهرَ هذي الليلةَ

إنّي. . .

وتموجُ بيَ الأمواج
تموجُ بيَ الأمواج
تموجُ
بيَ
أ
لـ
أ
م
و
ا
ج...

عمان، ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٢

العُلبة

هذهِ المرأةُ التي كنتُ أحببتُ، طويلاً، أسرارَها
كيف تأتي، كُلَّ يوم، إلِيَّ:
تنظرُ في عُلْبَتِها، مُسْتَخِفَّةً،
ثم تُلقي في يدي بعضَ سِرِّها...
كلَّ يوم تُبيحُ سِرّاً
فيا مَنْ تَسْتَحِثّيَنني إلى علبةِ الأسرارِ
هل تعلمينَ أنّي سأُخفي
كُلَّ أسرارِكِ
ابتداءً من التّفّاحةِ التي تَمْضغينَها فجّةً
وإلى المِزْقَةِ في الجوربِ النّزيعِ؟
ولكنّني وَدِدْتُ لو أنّ العلبةَ الصّغيرةَ
عادتْ تختفي في يديكِ
أو في مراياكِ
بعيداً عنّا
وأبعدَ حتى عن يدي
وارتباكتي
وسُؤالي...

عمان ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٢

بلاد

صعبةٌ هذهِ المدينةُ. . .

لا بابَ لها كي تَدُقَّهُ حين تأتيها

ولا أبراجَ فيها

لا سورَ

لكنّها القلعةُ. . .

إِنَّ الهواءَ، هذا الذي يأتي إِليها

يرتدُّ عنها

وهذا البرقُ يخبو

إِن لامسَ الغيمُ أطرافَ تضاريسها

فلا رعدَ

لا رعدَ. . .

النّساءُ اللاّئي وُلِدْنَ بها

سوفَ يَلِدْنَ. . .

الرِّجالُ سوفَ يسيرونَ سرايا

لكي تظلَّ المدينةْ

قلعةً خارجَ المدائنِ

حِصْناً
للموالي
وجنّةً للرَّهينةْ .

عمان، ٢٩/ ١٢/ ١٩٩٢

الحطّاب

يعرفُ أنّ فروعَ الأشجار
تتحدّث
ولهذا يستنطِقُها، حينَ يمرُّ بدورتهِ السّنويةِ:
يا غُصني
سوفَ تقولُ الآنَ وداعاً للأُمّ
ويا أنتَ المُتَمَرِّد
لن يُجديكَ تمرُّدُكَ اليوم. . .
ويا أغصاناً تائهةً عن شكلِ الشَّجرةْ
سَتَتيهينَ بَعيداً. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أمّا جذعُ الشَّجرةْ
هذا النّاهضُ حتّى بالحَطّاب
فلهُ أنْ يسخرَ منّا

نحنُ الرّاضينَ بقاماتِ الأعشاب. . .
نحنُ الراضينَ بما يفعلهُ الحَطّاب،
نحن الرّاضينَ بما نفعلهُ، نحنُ. . .

عمان، ٣١/ ١٢/ ١٩٩٢

جنّة المنسيّات

ألشّجرةْ
عاريةٌ، إِلاّ من بضْعِ وُريقاتٍ تسقطْ
وتويجاتٍ ميّتةٍ
والشّجرةْ
سوداءُ، تمرُّ بها الرّيحُ
ولا همسَ من الرّيحِ
أو الشّجرةْ
لكنّ العُصفورَ الأولَ يأتي
فالعُصفورُ الثّاني
فالعُصفورُ الثّالثْ،
وإِذا بالشّجرة. . .
. . . .
. . . .
. . . .
كم أَحلمُ أنْ أُطْبِقَ هُدْبي!

عمان، ١٩٩٢/١٢/٣١

صباحٌ مُمْطر

تمرُّ السّيّارات
مُبلَّلةً
مسرعةً
وأنا أنتظرُ الهُدهدَ تحتَ الكالِبْتوسةِ
غصنُ الكالبتوسةِ يقطرُ في كفّي
أيُّ شميم!
أيُّ روائحَ
من غاباتٍ يَسقيها مطرٌ منذُ قرون
غاباتٍ لم يَدخُلْها حَطَّابون
ولم يمسسْها بشرٌ
غاباتٍ ما كانت لتكون. . .
. . . .
. . . .
. . . .
سأظلُّ معَ المطرِ،
في الموقفِ تحتَ الكالبتوسةِ
أسْتافُ بَخورَ الغابات
وأذكرُ شَعْرَكِ. . .

عمان، ٣١/ ١٢/ ١٩٩٢

الورقة

ماذا في غرفةِ هذا الفندق، كي تشعرَ أنّك حرٌّ؟
مِرْوَحةُ السّقفِ اصْفَرّتْ منذُ سنين
وأغصانُ السّجادة ناصلةٌ
والأستار
ورقُ الحائط
والطّاولةُ. . .
ألكُرسيّ المخلوعُ على قائمتين ونصفٍ
والدّولابُ بلا بابٍ. . .
لكنّك تبحثُ، ملدوغاً، عن ورقةْ
واحدةٍ
حتى واحدةٍ. . .
. . . .
. . . .
أتكونُ هي المرآة؟

بيروت، ٢٥/ ١/ ١٩٩٣

ألمُنتأى

هلْ تَذْكُرُني حينَ أسافرُ هذي الليلةَ؟
هل تتذكَّرُ وجهي؟

. . . .

. . . .

. . . .

كان الثّلجُ
يهبِطُ، والأشجارَ، إِلى مملكةٍ من سُفُنٍ بيضاءَ
ولا يترُكُ للشّارع
ما نعرِفُ في الشّارِع
لا يترُكُ للشّارع
ما لا نعرِفُ في الشّارع

. . . .

. . . .

. . . .

كان الثّلجُ
يهبِطُ، بي، والأشجارَ، إِلى مملكةٍ من سُفُنٍ بيضاء

. . . .

. . . .

. . . .

هل أذكُرُ وجهَكِ؟

بيروت، ٢٦/ ١/ ١٩٩٣

إسترخاء

أنتَ، الليلةَ، تهدأُ
أنفاسُكَ خافتةٌ
وجبينُكَ في موضعهِ. . .
والأوردةُ الزّرق بظاهرِ كفَّيكَ تنام
وتخضرُّ، قليلاً، زُرقتُها. . .
أنتَ، الليلةَ، تبرأُ من حُمّى
من تَبِعاتِ امرأةٍ أحببتَ أخيراً
تبرأُ ممّا لم تعرِفْ أنْ تمنَحَهُ اسما
. . . .
أغمضْ عينيك
ونَمْ، حتى في النّومِ. . .
هدوءاً
ولْنَتَذَكَّرْ أُغنيةَ الأعمى.

بيروت، ٢٥/ ١/ ١٩٩٣

الوحيد يستيقظ

(١٩٩٣)

دائرة المثلّث

آيتُنا، أن نفترسَ الأنهار
لنُنبتَ زهرةَ رملْ.

•

نادتِ الريحُ، واقفةً عندَ بابِ القصبْ. كيفَ أستأذنُ؟ كيف أدخلُ، سرّيةً، في نعاسِ السمكْ؟ كيف أمشي على قدميَّ وقد دارتِ الأرضُ بي؟ هل ستسمعُ خطوي السلاحفُ؟ هل ينظرُ النيلوفَرْ؟
إِن صوتي يكلِّم صوتي: اتّئدْ. خفِّفِ الوطءَ.
لستَ المغنّي هنا. ليستِ الريحُ في لحظةِ الريحِ.
فلتجدي السرَّ، ولتسجُدي. واتركي الأرضَ تنسجُ أثوابَها: ورقاً، ومياهاً، ضباباً، ورائحةً من زهورٍ سماويةٍ. سوف تأتي الزوارقُ قبلكِ. تلمُسُ بُرديَّها بالأصابع والطيرِ. تأتي لتدخلَ، من ألفِ بابٍ...
فمن أنتِ يا ريحُ؟
قولي سلاماً، سلاماً، سلاماً، سلاماً...
لقد نهضَ الفجرُ والطيرُ
واتّسعَ الورقُ
استيقظَ النيلوفَرْ.

سومريّون يُخفونَ تحتَ السماواتِ أسماكَهم، بضّةً، ويحوكونَ أسمالَهم بالنواجذِ. كانت جواميسُهم تمضغُ الزهرَ. كانوا ملوكاً.
لماذا تزورينَ أيتها الريحُ أرواحَهم؟
أنصتي!
إنها الطَّيطَوى...

••

آيتُنا، أن نفترش الرملَ
ونرفعَ من أشواكِ الصبّيرِ مآذنَنا

•

بعيدينَ عن رجفةِ الماء كنّا، بعيدينَ عن رشفةٍ من عروقِ الورقْ. لقد كانتِ الخيلُ آلهةً للجنودِ، ولكننا، مذ عرفنا الجِمالَ، استكنّا إليها، وقلنا لها: أقبلي يا سفائننا. قبِّلي الشوكَ، وليكنِ الرملُ موجاً...
وها نحن نمضي إلى النيل، نمضي إلى الفيل، نمضي إلى شجراتِ المدائنِ هل أُشعلتْ في البراري غصونُ سمرقندَ؟ هل ذهبَ المصطفى في طريقِ الذهبْ؟ بعيدون عن طلعةِ المصطفى نحنُ. قد جاءنا، وسألناهُ: من أين جئتَ؟ البراري التي علّمتنا الرمايةَ والرملَ تمتدُّ أعمقَ في الروحِ. لكنه قالَ: أنتم هنا جُنّتي والجنائنُ. صدَّقَ أشياخُنا، فالتفتنا إلى الماءِ يلمعُ.
كانت سيوفٌ يمانيةٌ وكراديسُ...
كنا حفاةً
خفافاً

وكان الندى يترقرقُ في حشرجات المغنّي: تكون لكم سُرَّةُ الأرضِ. أنتم مفاتيحُها،

والسوادُ لكم، والجزيرةُ، والشامُ

والنهرُ

والبحرُ...

● يا سيدي، نحن أضألُ من بعرةٍ

● قال: فلتوقدوا ناركم في اليَفاعِ...

السوادُ لكم، والجزيرةُ، والشامُ

والنهرُ

والبحرُ

هل تبصرونَ تهامةَ؟

أنتم لها

مثلما للرقابِ الحسامْ

مثلما في المآذنِ يعلو السلامْ.

● ● ●

آيتُنا أن نرحلَ

لكنْ في دائرةِ الرَّحْل

●

قرنينِ وأكثرَ، بل هذي المائةَ الأربع عشرةَ، بل هذا اللاتاريخَ، ونحن ندورُ...

تحدثنا عن جزرٍ وممالكَ، عن أنهارٍ وبحارٍ وتهائمَ، أبحرْنا بالسيفِ وبالوجهِ الناشفِ

والعينين الصقرِ

ولكنْ. . . أين ذهبنا؟ وإلى أين سُنْسلمُ خطوتَنا؟

كم أبصارٍ وسملْناها، وأكفٍّ وقطعناها، وجذورٍ وقلعناها. . .

كم كنا سعداءَ لأنّا في أرضٍ أخرى.

قلنا إنّا سنكونُ، وإن الريح مواتيةٌ. كنا نَقتلُ.

نقتلهم، ونشدُّ عمائمَنا، أي نساءٍ كنَّ لنا! أيُّ حريرٍ. . .

ما معنى المرأة؟

ما معنى الخمرِ؟

وما معنى أن نتلمسَ لحمَ الزهرِ؟

حفاةً كنّا، وخفافاً، وأغاني إبل

أما الناسُ، الناسُ، فسوف يظلّون الناسَ.

ونحنُ، وإن كنا الأمراءَ، نظلُّ حفاةً، وخفافاً

وأغاني إبلٍ. . .

فلنعترفِ الليلةَ

أن الماءَ يحاصرنا.

والصحراءَ بعيدةْ. . .

بيروت، ٣٠/ ٣/ ١٩٩٣

اليقظة

لم تكن مطفأً ساعةَ انتصفَ الليلُ في غرفتكْ
كنتَ تدخلُ تحت المُلاءةِ
تلتمُّ تحتَ المُلاءةِ
ما أبردَ الليلَ في غرفةِ السطحِ
ما أبعدَ الخصلاتِ التي سافرتْ أمسِ
ما أبعدَ النافذةْ

. . . .

. . . .

. . . .

أنتَ تلتمُّ تحتَ المُلاءةِ
تغمضُ عينيكَ
تسمعُ همساً
ووشوشةً ربما كانت الموجَ،
تشعرُ أنّ حريراً يمسِّدُ صدرَكَ
أنّ الندى يترقرق في العشبِ
في غيضةِ الخيزران

. . . .

. . . .

. . . .

الروائحُ:

مسْكُ

ونَدٌّ

ومجمرةٌ للبخور

وماءٌ من الإِبط

قطرةُ فودكا

وقنّينة سقطتْ، فجأةً، من أعالي رفوفِ النبيذ

. . . .

. . . .

. . . .

إِنها الساعةُ الخامسةْ

ليس ثمّتَ من أملٍ. . .

لن تعودَ الحمامةُ

لن يخطئَ الديكُ موعدهُ

والمؤذِّنُ ـ حتى وإِن قمتَ ليلَكَ ـ لن يذكرَكْ

فلتنمْ يا صديقي

ولتدعْ للتي قاسَمَتْكَ سريركَ

ما نسيتْ في السريرةِ:

مرآتَها

مشطَها

والسوارَ الذي فضّضتْهُ نصارى الكرَكْ!

بيروت، ١/ ٣/ ١٩٩٣

أسئلة

ـ ١ ـ

لماذا تحدِّقُ في البحرِ
والبحرُ، أيضاً، له منتهاه؟

ـ ٢ ـ

لماذا ينامُ الشريدُ
على شاطئِ امرأةٍ لا تنام؟

ـ ٣ ـ

لماذا الحقيقةُ بيضاء؟
إِن أنتَ صدّقتَ هذا
فأين الحقيقة؟

ـ ٤ ـ

لماذا القناديلُ تُطفأ في لحظةِ الحبّ؟
أم أن قلبَ الظلامِ يضيءُ الظلام؟

ـ ٥ ـ

لماذا تراقبُ كأسكَ؟
كم قلتَ: لم يبقَ ما لا يُراقَب. . .

ـ ٦ ـ

لماذا تصدِّقُ بالأغنية
وتعرف أن الأغاني شفاه؟

ـ ٧ ـ

لماذا تفيقُ صباحاً
وتهجرُ مملكةً كنتَ فيها الملكْ؟

ـ ٨ ـ

لماذا المدينةْ؟

ـ ٩ ـ

لماذا السلاحفُ تحمل مرآتنا؟

ـ ١٠ ـ

لماذا أحبكِ؟

بيروت، ٣١/ ٣/ ١٩٩٣

أولُ المساء

الشمعةُ التي تنوسُ
في فضاءِ الغرفةِ
تتدلى من السقفِ بحبالِ سيركٍ ثلاثةٍ.
الشمعةُ تنوسُ
كأنها ستثبُ كلَّ لحظةٍ
لتستقرَّ على الطاولةِ.
وعلى الطاولةِ
شمعةٌ أخرى
مطفأةٌ.
ها هي ذي الشمعةُ تصنعُ أغنيتَها على الحائطِ
أراجيحَ
وأرخميدسياتٍ
وأشياء من دافنشي،
بينما ظلُّ الكرسي
يدفع إلى الحائطِ
وبإِصرارٍ
امرأةً من عماءٍ. . .

بيروت، ٧/ ٤/ ١٩٩٣

أكثر من شمس واحدة

أمس

في الغروبِ

كانت شمسانِ تطفوانِ على البحرِ

وغلالةُ غيمٍ أبيضَ

تدنو منهما لتصطبغَ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

أين الشمسُ التي نعرفُها

شمسُ الهاجرةِ

قرصُ الفولاذِ السائلِ؟

. . . .

. . . .

. . . .

لو كان الأمرُ بيدي

أو بيدِ الطفلِ

أما كنا سنطلقُ من جيوبنا الشموسَ
لتطفوَ على البحرِ كلهِ
طوافاتِ نجاةٍ؟

بيروت، ٨/ ٤/ ١٩٩٣

الوحيد يستيقظ

افتحْ عينيكَ واسعتينِ
ولا تعتذرْ للصباحِ الذي يناديكَ من وراءِ الزجاجِ.
ألم يأتِ المطرُ، خفيفاً، طيلةَ الليلِ؟
ألم تجدِ السطحَ نظيفاً؟
إذاً، لم لا تفتحُ عينيكَ واسعتينِ؟
أيكونُ ذلك لأنّ الشرشفَ الذي بسطتَهُ على الفراشِ
مكوياً، سَبْطاً، بلا غضونٍ
ظلَّ ما بسطتْهُ يداكَ
مكوياً، سبطاً، بلا غضونٍ؟

بيروت، ٨/ ٤/ ١٩٩٣

علاقة

ـ ١ ـ

كم تُروِّض هذا الفتى!
كم تعذِّبه
كي تقول له:
نحن اثنانِ...

ها نحنُ ندخلُ في حانة. نحنُ منذ الظهيرةِ نشربُ.
من، يا ترى، يتعبُ الآن؟ اثنانِ نحن، ولكننا نتجاهلُ ما بيننا. يثقلُ الجفنُ. ينحدرُ العنق شيئاً. وينعسُ واحدُنا لحظةً. سأقولُ له: نَمْ، ودعني على البارِ...
لكنه يتشبثُ بي: نحن اثنانِ. جئنا معاً. كيف تتركني؟
يا لهذا الفتى!
يا نهارَ الحماقاتِ!
نمضي معاً، قلتُ، لا بأس. نمضي معاً في الظهيرةِ والخمرِ والساندويتشاتِ. لكنّ لي موعداً...
إنّ لي موعداً وتأخرتُ. ينظرُ نعسانَ، لا تصطفي شفتاهُ الكلامَ.
إذاً، أنتَ باقٍ.

سنوقدُ في الركنِ قنديلَنا. سوف يأتي السُّقاةُ، ويأتي المغنّي، ونضحكُ. . .

هوِّنْ عليك!

ـ ٢ ـ

قلتُ: ماذا ترى لو ذهبنا إلى البحرِ؟ كان الصباحُ نديّاً، وكانت غيومٌ تُسِفّ على تلعةِ البرجِ. قال: الرمالُ انتهتْ. أنا أكرهُها. فلنكنْ في ممرِّ الصخورِ، هنالكَ ينفتحُ البحرُ، والموجُ يهدرُ، والريحُ تلهو بنا حرّةً. . .

من ممرِّ الصخورِ هبطنا معاً، ودخلنا، سعيدينِ، بوابةَ البحرِ. . .

ها نحن نمضي إلى القاعِ، سهبٌ من العشبِ يمضي بنا، وقناديلُ تومضُ بين فَراشٍ وأسرابِ طير، زهورٌ ترانا فتطبقُ أجفانَها، والقنافذُ زرقاءُ. . ندخلُ كهفاً لنخضرَّ. يلمسُ أضلاعَنا سمكٌ، وتُدغدغ باطن أقدامنا الرخوياتُ والسلطعوناتُ. . .

نهبطُ

نهبط

نهبطُ

قوسُ قُزَحْ!

كان همسٌ من القاع. مرجانةٌ تتفتحُ أذرعةً وقناديلَ، أجنحةً، وزعانفَ خضراءَ. . والهمسُ يعمُقُ. . .

يا خدَرَ العمرِ خذني معكْ. .

فجأةً

قال لي لاهثاً: إنتفضْ!

نحن نغرقُ يا صاحبي. . .

انتفضْ!
ليس هذا أوانَ الغرقْ!

ـ ٣ ـ

مرةً في الضواحي
في قطار الضواحي
في قطارِ الضواحي البطيء
في قطارِ الضواحي البطيءِ الذي كان يحملُني نحو أمسِ
كنت أبحثُ عما أضعتُ
وفكّرتُ أن قطارَ الضواحي
سوف يبطئُ أكثر
يتركني، اليومَ، أبحثُ عما أضعتُ. . .
ولكنني ـ والفجاءةُ تبدو طبيعيةً ـ قد وصلتُ
المحطةُ مفتوحةُ البابِ
مفتونةٌ بالصباحِ
وها هوذا، في المحطة، يضحكُ:
يا صاحبي، عمَّ تبحثُ
إِن كنتُ، في لحظةٍ، قد وصلتُ؟
. . . .
. . . .
. . . .
يا لَهذا الفتى!

بيروت، ١١/ ٤/ ١٩٩٣

اللحظة

في الغرفةِ،
حيث السطحُ المفتوحُ على البحرِ
أعدَّ القرصانُ المتقاعدُ وجبتَهُ:
نصفَ رغيفٍ
وشريحةَ لحمٍ أحمر
وزجاجةَ فودكا . . .
القرصانُ المتقاعدُ أحكمَ إغلاقَ البابِ
وأخرجَ من صندوقِ الأبنوسِ دفاترَهُ
وخرائطَهُ
ومرافئَهُ . . .
وهو الآن سعيدٌ
ووحيدٌ . . .
. . . .
. . . .
. . . .
لكنّ الصدرَ يحشرجُ
والعينينِ تغيمانِ قليلا

. . . .

. . . .

. . . .

من دقَّ البابَ ثلاثاً؟

من جاءَ هنا، يتتبّعهُ حتى غرفتهِ بالسطحِ؟

القرصانُ المتقاعدُ أغلقَ صندوقَ الأبنوسِ

على أسرار دفاترِهِ

وخرائطهِ

ومرافئهِ

ومشى يترنّحُ، بضعَ خُطىً، كيس يستافَ شميمَ البحرْ

. . . .

. . . .

. . . .

أيكون الأعمى مَن دقَّ الباب؟

الأعمى المتنكرُ في هيأةِ سيدةٍ

جاءتْ تصحبهُ لحظةَ مختَتمِ العمرْ؟

بيروت، ١٤/ ٤/ ١٩٩٣

المأوى

كيف أخرجُ من هذه الغرفةِ؟
اليومَ
أمسِ
ومن قبلِ عشرينَ عاماً
أفكرُ أن أصطفي لي سواها
أحاولُ ألاّ أراها
ولكنني لا أزالُ بها.
هذه الغرفةُ التي أطعمتني، جرعةً جرعةً، أفاويهَها
صارت هوائي
وجُبّتي
وجليسي الذي يُقاسمني غرفتي.
غريبٌ هذا الذي يجري...
غريبٌ
لكن، إذا غادرتُها مرةً
فأين سأمضي؟
....
....

. . . .

أمس

فكرتُ أن أمرَّ على الأسواقِ صبحاً

أسائلُ الناسَ عن مأوى

فلم أستطعْ

لقد تقدّمَ بي العمرُ

وما عادت خُطاي الخُطى. . .

والناسُ

حتى الناسُ لو أسررتُهم محنتي فلن يعرفوني

إِنني امرؤٌ وحيدٌ

وهذي الغرفةُ التي قد عرفتُها لم أجد مأوىً سواها. . .

. . . .

. . . .

. . . .

من قال مأوايَ هذا؟

بيروت، ١٨/ ٤/ ١٩٩٣

الساقية

J’écoute...

لكنْ، من ينصتُ في الطرفِ الآخر؟

من يمنح وردةَ أُذنكِ أن تتفتّح؟

منذُ أسابيعَ، ترينَ الناسَ يجوبون شوارعَهم

واجهةً

واجهةً

ينتظرون مساءَ العيدْ.

أمّا أنتِ، فما زلتِ وراءَ زجاجِ البار

متعبةً

بين البيرةِ والقهوةِ والتَّبْغِ وأوراقِ سباقِ الخيل

وثرثرةِ الزوّار

تنتظرين صباحاً لا يرميكِ وراءَ زجاجِ البار

J’écoute...

لكنْ، لا همسَ يوشوشُ وردةَ أُذنكِ

ماذا لو أُغلقَ عن لحظةِ هذا العالمِ

أو لحظتكِ،

الخطّ؟

. . . .

. . . .

. . . .

ستكونين وحيدةْ

كأنكِ ما كنتِ طوالَ شهوركِ في شقّةِ

AUBERVILLIERS

وحيدةْ

فلماذا ألححتِ طويلاً هذي الليلةْ؟

ولماذا قلتِ بأنكِ، من دونِ الناسِ، وحيدةْ؟

. . . .

. . . .

. . . .

ألأنّ الناسَ جميعاً كانوا في العيد

وكنتِ تخافين صباحاً سيُعيدكِ، متعبةً، خلفَ زجاجِ البار؟

. . . .

. . . .

. . . .

J'ÉCOUTE!

بيروت، ٢١/ ٤/ ١٩٩٣

صعوبة

الشرفةُ التي لا تتّسع إلا لسبعِ نبتات
الشرفةُ التي تَخلَّعَ حاجزُها الحديدُ، في الوسطِ تماماً
الشرفةُ التي لا تنفتحُ إلا على جدارينِ مقابلينِ
الشرفةُ التي تكادُ تلامسُ أسلاكَ الكهرباءِ العاريةَ
الشرفةُ التي يُنَصِّفُها حبلٌ أصفرُ
الشرفةُ التي ترتجفُ إن هطلَ المطرُ
الشرفةُ التي لا تدخلُها الشمسُ إلا ساعةً
الشرفةُ التي لم تثملْ فيها امرأةٌ جيداً
الشرفةُ التي لا يقصدُها الزائرونَ
الشرفةُ التي تُنكرها الهندسةُ
الشرفةُ التي قد تنهارُ في كلِّ لحظةٍ
الشرفةُ التي تجلسُ فيكَ
كيف لكَ أن تقولَ: هي الكونُ؟

بيروت، ٢٣/ ٤/ ١٩٩٣

من النافذة

آهِ، أيتها السيِّدةْ
كيف تقضين عمرَكِ، هذا الجميلْ
تحت حبل الغسيلْ؟
آهِ، أيتها السيِّدةْ
كم أرى في الصباح حِبالَكِ
بل كم أرى في المساء حبالكِ
أنتِ الجميلةُ
أنتِ
يداكِ، اليدانْ
صاعدتان
وهابطتان
أبداً، تحتَ حبلِ الغسيلْ. . .
آه، أيتها السيِّدةْ
أيّ عمرٍ سنقطعهُ تحتَ حبلِ الغسيل؟
أم ترانا سنقطعُ حبلَ الغسيل؟
آهِ، أيتها السيدةْ. . .

بيروت، ٢٣/ ٤/ ١٩٩٣

رحّالة

وليكنْ!

إِنها آخرُ المدنِ الملكيةِ. . . .

فلتدخلِ الآن!

ولتفتتحْ، قبلَ أن تذبلَ الوردةُ، الحانةَ المغلقةْ.

. . . .

. . . .

. . . .

آخرُ المدنِ الملكيةِ. . . . .

هل تتذكرُ أولى خُطاك؟

أتذكرُ قنطرةَ البيتِ

تلكَ المسنّاة

والجسر، حيثُ السبيلُ إلى المدرسةْ؟

أتذكرُ صفصافةَ المدرسةْ

وهي تغسلُ، في النهرِ، خصْلاتِها؟

. . . .

. . . .

. . . .

كم بَعُدْتَ عن النخلِ

والأهلِ. . .

كما فاضتِ الأرضُ حتى تتالتْ عواصمُها بين كفّيكَ. . .

كم غاضتِ الأرضُ حتى غدتْ محضَ زنزانةٍ. . .

لا تهنْ يا صديقي الذي لا يفارِقُ

كن مثلما قد عرفتُكَ. . .

لا تبتئس!

نحن في آخر المدن الملكيةِ في أولِ الجُلجُلةْ. . .

عمّان، ٢٩/ ٤/ ١٩٩٣

نعاس الضحى

شجيراتُ سروٍ تجرِّبُ أغصانَها المستدقةَ خلفَ السياجِ
الكراسيُّ، من ليلةِ الأمسِ، مسندَةٌ للموائدِ
اثنين، اثنينِ
حتى المظلاتُ مطويّةٌ
والزهورُ الكبيرةْ. . .
من البُعدِ، تهفو أعالي الصنوبرِ في الريحِ
أمّا أنا
حيث أجلسُ وحدي هنا
على حجرٍ عند أقصى السياج
أراقبُ ما يفعلُ الحلزونُ بأوراقهِ
وبفضّتِهِ وهي تنشفُ في شمسِ نيسانَ. . .
أمّا أنا
فالظلالُ التي وشوشتْني تنادي رفيقي النعاسْ.

عمّان، ١/ ٥/ ١٩٩٣

التحيّة

الشمس
وهي تقولُ صباحَ الخير
للسروةِ في منعطفِ الشارع
تنشر قُبلتَها
تُوْسعُ سروتَها قُبلاً
هابطةً
من خصلاتِ السروةِ
حتى السُّرّةِ
حيثُ الخصر . . .

عمّان، ١٩/ ٦/ ١٩٩٣

حشرجة

ربما حين لا يتبقّى سوى لحظةٍ
أو نَفَسْ
نتذكّرُ ما كنَّ يفعلنه الأمّهاتُ لنا
فنقولُ سلاماً لهنّ
ونسألُ عمّا يُرِدْنَ
ولكننا لن نقول. . .

عمّان، ١٩/٦/١٩٩٣

كيف؟

كيف صار الغناء
مريراً
إلى حدٍّ أنّا صمتْنا؟

●

كيف أمستْ كؤوسُ النبيذ
تُجرِّح راحاتِنا
إِلى حدٍّ أنّا انتزِفنا؟

●

وفي الحُلمِ
تدخلُ حتى الشجيرةُ
مثقلةً بالسكاكينِ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
هل قلتُ: إِنّا انتهينا؟

عمَّان، ١٩/٦/١٩٩٣

متعجِّلون

كم مضينا بعيداً. . . لكي نجهلَ الأرضَ

نحن الذين اندفعنا لنقرأَها

نتقرّى تفاصيلَها

ودوائرَ أشجارِها

ونوافذَ من سكنوا بيتَها

وأقاموا مآدبَهم فيهِ. . .

حيث النبيذُ الذي يتلألأُ بين المشاعلِ

حيث الصنوبرُ تأرجُ أغصانُه في المواقدِ

حيث تستكملُ الفتياتُ الأنوثةَ تحتَ العرائِش

حيث البيوتُ سواسيةٌ

والأغاني اختلاف. . .

. . . .

. . . .

. . . .

ولكننا قد مضينا بعيداً

نأَينا عن الأرضِ في نشوةِ المتعجِّلِ. . .

لم نقرأ الأرضَ
لم نتقرَّ تفاصيلَها
ولم نُرهفِ السمعَ
لم ندرِ أنّ برابرةً قادمون. . .

عمّان، ٢٠/٦/١٩٩٣

مكابَرة

سأسعى، إلى أن أرى المرتقَى، من أعاليهِ
والمرتقى شاهقٌ
ضيّقٌ
تتدحرجُ أحجارُهُ إذ تهبُّ الرياح
وتسقطُ أشجارُهُ
ربما بلغَ الماعزُ الجبليُّ انحناءته
حيث ينبثقُ النبعُ . . .
أو ربّما حاولتْه البغالُ لتهوي مدوَّخةً في الهواء الخفيف
النسورُ التي منذُ قرنٍ تذرِّقُ
قد نحتتْ في عمامتهِ ملمسَ الثلجِ
حتى الذين أحبّوا بنادقَهم
كسَّروها إذ ارتدَّ عنه الرصاص . . .
. . . .
. . . .
. . . .
هو المرتقى
شاهقٌ

ضيّقٌ
غير أني سأصعدُهُ
خطوةً
خطوةً
وسنينَ، فأخرى...
....
....
....
وإِلاّ، فمن يُدركُ المرتقى؟

عمّان، ٢٠/٦/١٩٩٣

الشاطئ

سنغادرُ، فرداً فرداً، هذا الشاطئَ

حيث أقمنا منذ سنينَ،

نلمّ قواقعَهُ

وسراطينَ البحرِ، وأعشابَ المَدِّ

ونحلم، ظُهراً، أن نستنفرَ في الليل عرائسَهُ. . .

سنغادرُ هذا الشاطئَ

مندهشين كما كنّا

مسرورين بما كنّا

مقتنعين بأنّ الشاطئَ لن يقفرَ منّا

حتى لو غادرناه. .

. . . .

. . . .

. . . .

صحيحٌ، انّ عرائسَهُ لم تأتِ

وصحيحٌ، ان قواقعَهُ كانت ملأى بالرمل

وصحيحٌ، ان النجمَ به يخبو في منتصفِ الليل. . .

لكنّ الشاطئَ
مهما كان فقيراً
قفراً منسيّاً
سيظل لنا الشاطئَ
شاطئَنا
حيث لمسْنا أولَ نجمٍ
وأقمْنا الصلوات. . .

عمّان، ٢٤/٦/١٩٩٣

استنبات

لا تُتعبْ نفسكَ

إِن الأمر لأصعبُ مما تتصوّرُ:

حقاً، آنيةُ الفخّار، تماماً، في زاويةٍ تبلغُها الشمسُ

وحقاً، أنّ التربةَ حمراء

وأنكَ تعرفُ أن تتحكمَ في قطراتِ الماء. . .

لكنّ فسيلَ النخلةِ لن ينمو في غرفتكَ

النخلةُ لن تتنفسَ مثلَكَ

حتى لو هدأتْ أنفاسُكَ

حتى لو كُتمتْ أنفاسُكَ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

لكنْ، حين يجيءُ الليلُ

وتغمضُ جفنيكَ

ويأخذُكَ الماءُ إلى حيثُ يشِفُّ الماء

ستأتيكَ النخلةُ

فارعةً

ضارعةً

زرقاء. . .

عمّان، ٢٦/ ٦/ ١٩٩٣

الكوفة

ما سمّيناها لتكونَ مدينةْ
نحن أتيناها ظمآنين
جياعاً
نعرجُ من وَهق الرملِ
ونعمى من وهجِ الشمسِ. . .
قطعنا العالمَ بالسيفِ
إلى أن نتأ العظمُ بأيدينا ومحاجرِنا. . . وابْيَضّ
قلنا حين بلغْنا الماءَ
لنجلسْ
ولنتأمّلْ هذي الضفّةَ
حيث الماءُ يسيلُ، ويمضي، ويسيلُ. . .
غمسْنا الأسيافَ بهِ
أغمدْنا أيدينا، مرتجفينَ
وصلّينا. . .
. . . .
. . . .
. . . .

ما سمّيناها لتكون مدينةْ

لم نبنِ بها إِلا المسجدَ

والسورَ

وكوخ عليٍّ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

لكنّ القرن الأولَ لم يَعُدِ الأوّل

ها نحن أولاءِ نغادرها

م

ش

ن

و

ق

ي

ن

على ماسوراتِ مدافعِ دبّابات. . .

عمّان، ١٩٩٣/٦/٢٧

جواب

ماذا يمكنُ أن تمنحَ هذا الكونْ؟
هل تقدرُ أن تضفرَ من أليافِ الكلماتْ
غصناً؟
هل تقدرُ أن ترفعَ كفّيكَ لتستمطرَ غيمةْ؟
هل تقدرُ أن تمسيَ في العتمةِ
نجماً؟
هل تقدرُ أن تعصرَ من ثوبِ الحُمَّى
كأسَكَ؟
هل تقدرُ أن تهبَ الطفلةَ أبعدَ من دهشتها؟
ماذا يمكنُ أن تمنحَ هذا الكونْ؟
. . . .
. . . .
. . . .
أحياناً تغمضُ عينيكَ
وفي أقصر من لحظةْ
تشعرُ أنّ الأرضَ سماء. . .

عمّان، ٣٠/ ٦/ ١٩٩٣

ولاء

من بلدٍ ستدورُ إِلى آخر
ومن امرأةٍ ستفرُّ إلى امرأةٍ
من صحراءَ إلى أخرى
لكنّ الخيطَ الممدودَ مع الطائرةِ الورقيةْ
سيظلُّ الخيطَ المشدودَ
إلى النخلةِ
حيثُ ارتفعتْ طيّارتُكَ الأولى. . .

عمّان، ١٩٩٣/٦/٣٠

في البحر الأحمر

لم نكن البحّارةَ

كنا أسرى القبطانِ

وكنّاسي مطبخهِ. . .

أحياناً، يتمشّى القبطانُ مع الكلبِ الذئبِ

فنجفلُ مرتعدينْ

ونلوذُ بركنِ الكوثلِ. . .

كان المركبُ يسري في الليلِ

ويلقي المرساةَ صباحاً عند مرافئ أفريقيةْ

والبحّارةُ يمضونَ إلى حاناتِ الشاطئِ. . .

أمّا نحن

فنظلُّ، كما كنّا

أسرى القبطانِ

وكنّاسي مطبخهِ. . .

عمّان، ٣٠/ ٦/ ١٩٩٣

حربٌ أهليّة

أربعةٌ

منتصبو القاماتْ

يمشونَ، وئيدينَ، على أرضٍ مكشوفةْ

أوجُههُم جلدٌ مدبوغٌ

وبأيديهم تنطلقُ الرشاشات. . .

. . . .

. . . .

. . . .

كانوا أربعةً

يمشونَ، وئيدينَ، على أرضٍ مكشوفةْ

كان رصاصٌ من رشّاسِ البيتِ يُواجههم

ويئزّ. . .

ولكنهمو يمشون، ويمشون

وئيدين

وفي أيديهم تختضّ الرشاشات. . .

. . . .

. . . .

. . . .

يصمتُ رشّاشُ البيت

وتعلو من نافذةِ البيتِ المحترقِ، النيران

. . . .

. . . .

. . . .

أربعةٌ

منتصبو القامات

يمشونَ، وئيدينَ، إلى بيتٍ آخر . . .

عمّان، ٣٠/ ٦/ ١٩٩٣

اغتيال

«في ذكرى عبد الوهاب الكيالي»

المصعد في برج الكارلتون بطيءٌ،
أبطأُ من فيلٍ يتمرّغُ قربَ الماء
المصعدُ يهبطُ . . .
ينفتح البابُ
وينغلقُ البابُ
كأنَّ العالمَ ما زالَ هو العالمَ . . .
لكنّ البارود
سيظلُّ طويلاً في رائحةِ المصعدِ
والرجلَ المقتول
سيظلُّ طويلاً في غرفته العليا . . .

عمّان، ١/ ٧/ ١٩٩٣

تدريب حواس

محاطٌ بالسروِ
كأني في برْكةِ قلبِ الغابة
حولي تتحدثُ أسماكٌ وطيورٌ
على كفّي يهبطُ أحياناً
ورقٌ
أو نملٌ طائرْ
أو قطرةُ ماء. . .
أُرهفُ سمعي:
ثمَّتَ موسيقى
وسماواتٌ بيضْ. . .
أُرهفُ سمعي:
ثمَّتَ نبعٌ في قلبِ الغابِ يغيضْ. . .
أُرهف سمعي:
ثمَّتَ نبعٌ في قلبِ الغابِ يفيضْ. . .

عمّان، ١/ ٧/ ١٩٩٣

التِّيه

كنا في قاعِ سفينةِ شحنٍ
أسرى
وعبيداً
نتكوّمُ فوق حبالٍ يقطرُ منها زيتٌ أسود
وننامُ على أذرعنا
مذعورين. . .
قطعنا البحرَ العربيّ
قطعنا البحرَ الأحمر
ودخلنا في المتوسطِ. . .
كانت أيدينا، كملابسنا، يقطرُ منها زيتٌ أسود
يتقطَّرُ منها عَرقٌ
وهواءٌ
ودمٌ. . .
. . . .
. . . .
. . . .
أيُّ بِحارٍ ما زال علينا أن نقطعَها
في قاعِ سفينةِ شحن؟

عمّان، ٦/ ٧/ ١٩٩٣

منظر

من بعيدٍ أراقبُ برجَ الكنيسة:
كانت سطوحُ المنازلِ تعلو وتَعلو...
السماءُ بلا غيمةٍ
ولا طائرٍ...
ولم يبقَ من منظرِ البرجِ إلاّ الصليب
وإلا أعالي من السروِ
....
....
....
مقبرةٌ في السماء...

عمّان، ٦/ ٧/ ١٩٩٣

إلى أمام

الرايات
خافقةٌ، تحت سماءٍ لم تتكوَّنْ بَعد. . .
أمّا نحن المنذورون لنحملَها
تحتَ الريح
وتحتَ المطرِ
فعلينا أن نتكوَّنَ أيضاً. . .

عمّان، ٦/ ٧/ ١٩٩٣

بغداد

قال لي صاحبي: كيف تبدو لعينيكَ بغدادُ؟

قلتُ: المدينةُ بالناسِ.

قال: ولكنهم أنتَ...

قلتُ: إذن، سوف أطلبُ أهلاً سواهم

وأقصدُ بغدادَ أخرى...

عمّان، ٦/ ٧/ ١٩٩٣

بساتين

ـ ١ ـ

مثقلاً، يهطل التوتُ
والماءُ أحمرُ
والجرفُ أخضرُ
والنخلُ يمشطُ سعفاتِهِ بالندى
سوف تأتي اليماماتُ
عابرةً من أقاصي النخيلِ (حدودِ الصحارى)
إِلى حفلة التوتِ
والظلُّ يأتي ليغفوَ
والطفلُ يأتي
ويقفزُ حتى الفروعِ المدلاّةِ سربُ السمكْ.

ـ ٢ ـ

كيف جاءت إلى مركز الشرطةِ، السدرةُ؟
القومُ، لم يزرعوها، أكيداً
ولكنها تملأ الحوشَ بالسِّدرةِ:
الظلُّ، والجذعُ، والنبقُ...

سدرةُ بيتٍ حقيقيةٌ
وهي في مركز الشرطةِ. . .
الفرقُ، أنَّ السلاسلَ، لا الطيرَ، فيها
وأنَّ الذي سوف يُجْلَدُ، يوثَقُ،
حتى يرى أنجمَ الظُّهرِ فيها. . .

ـ ٣ ـ

في الشرفةِ
حيث أجلسُ أنا والساحة،
في الشرفةِ
حيث تزدحم نباتاتي
وتتحاورُ،
في الشرفةِ
ورقةٌ واحدةٌ تتمايلُ، مزهوةً
في نبتةِ نرجسٍ ذاتِ ورقتين. . .
أنَّى لي أن أختارَ إِحداهما؟

عمّان، ٦/ ٧/ ١٩٩٣

الرفيق «س»

ليس فيه الآنَ ما يُرعبُ. . .
هذا ما تقولُ النشرةُ الأولى
وما يكتبه عنه الصحافيون. . .
لم يبقَ له جيشٌ
ولا قنبلةٌ ذرّيّةٌ
وانشطرَ الأسطولُ،
لم يبقَ كتّابٌ ولا مكتبٌ. . .
اليومَ رأى حتى اسمَهُ مختلفاً
(عندَ أناسٍ لم يكن يعرفهم)
صارَ هو السابقَ
(هل كان هو السبّاقَ؟)
لا بأس
فهذي دورةُ الأشياءِ
يومٌ لكَ
أو يومٌ عليكَ. . .
الصعبُ في قصتنا أنّ الشيوعيّ الذي أعرفُه في معملِ البيرةِ
ما كان له جيشٌ

ولا قنبلةٌ ذريّةٌ

حتى الأغاني نسيتْ أسماءهُ

(كان يغنِّي وحده)

لم يكنِ السبَّاقَ

حتى يُمسيَ السابقَ. . .

والأمرُ لديه، مثل ما كانَ، بسيطٌ دائماً:

زيدوا غنىً

يزددْ أنينُ الأرضِ. . .

. . . .

. . . .

. . . .

هل في «س» ما يُضحكُ؟

عمّان، ٧/ ٧/ ١٩٩٣

بيت

هذا البيتُ لنا:
غرفاتٌ أربعُ
بابانِ
وشرفةْ
وقناديلُ، وفخّارُ ووسائدُ...
أنتِ تقولين: «البيتُ لنا».
لكنْ...
هل قالَ الطائرُ
ـ وهو يهذِّب عيدانَ العشِّ ـ
«البيت لنا؟»

عمّان، ٧/ ٧/ ١٩٩٣

تشاؤم؟

حين جئنا هذه الأرضَ
وقلنا: «سوف نبني عالماً أجملَ».
كان الكونُ أجملْ. . .
أوَلم يسمحْ لنا بالأسئلةْ
وبمنأى الحلمِ؟
. . . .
. . . .
. . . .
أمّا الآنَ
والطيرُ الذي يُنبئنا طارَ
فقد حلَّ زمانُ القتلةْ.

عمّان، ٧/٧/١٩٩٣

ارتباط

مطرٌ ينزلُ في شبه رذاذٍ
وأنا، في خيمةٍ تلمُسها الأشجارُ، عند البحرِ
فانوسي الذي أوقدتُه قبلَ قليلٍ
لم يزل متّقداً
مرتجفَ الشعلةِ
في البُعدِ
أرى مركبَ صيدٍ يبدأُ الرحلةَ
لا بأسَ، إذاً
ما دامت الأشياءُ تعني أنها الأشياء
تعني أنني في نبضِها أدخلُ،
فيها . . .

عمّان، ٧/ ٧/ ١٩٩٣

الانتباه

الذين يمرّون بي عابرين
سوف أذكرُهمْ
والذين يجيئونني مثقلين
سوف أنساهمو
. . . .
. . . .
. . . .
هكذا
حين تندلعُ الريحُ بين الجبال
نَصِفُ الريحَ دوماً
وننسى الحَجرْ. . .

عمّان، ٨/ ٧/ ١٩٩٣

إلى جمال جمعة

وأخيراً. . .
إِن كنت جلستَ على رأسِ الكرةِ الأرضيةْ
وقد دلَّيتَ، سعيداً، قدميكَ المتسلّختينِ من التطوافِ
لتكتبَ شعراً،
فهنالكَ من يتمنّى أن يأخذَ رأسَكَ كرسيّاً
ويُدّلِّي قدميه الحرشفتينِ على صدرِكَ
كي يكتمَ حتى ولولةَ الشِّعرْ. . .

عمّان، ١١/ ٧/ ١٩٩٣

الحرية

وحدَكَ، أنت الحُرّ
تختارُ سماءً فتسمِّيها
وسماءً تسكنُ فيها
وسماءً ترفضُها. . .
لكنّ عليكَ، لكي تعرفَ أنك حرٌّ
وتظلَّ الحرّ. . .
أنت تتثبّتَ من موطئ أرضٍ
كي ترتفعَ الأرضْ
كي تمنحَ أبناءَ الأرضْ
أجنحةً. . .

١٩٩٣/٧/١١

المحتويات